جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير
في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره
لابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ)

الدكتور
محمد عبد المنعم محمود سلطان
مدرس بقسم أصول اللغة فى كلية اللغة العربية بأسيوط

العدد السادس عشر
للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
الجزء الأول

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وأصلي وأسلم على أشرف الخلق وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد :

فإنَّ ألفاظ اللغة العربية التي دونت في معجمات خاصة بها منذ وقت مبكر من تاريخ التأليف والتدوين لدى علماء اللغة والمهتمين بها ، قد تضمنت كل لفظة منها مدلولات متعددة أو معاني متنوعة ، فأصبح لكلٍ منها معنى أصلي بحسب الاستعمال الأول لها في كلام العرب ، ثم اكتسبت – بسبب الفصاحة وتنوع العبارات والأساليب – معاني أُخر تفرعت عن ذلك المعنى؛ فهناك الدلالة العرفية التي تعارف عليها أبناء المجتمع العربي قديمًا في مجال معين من مجالات الحياة الاجتماعية ، وهناك معانٍ جدت للألفاظ نتيجة لما طرأ عليها من تطور في دلالتها في ظل تاريخ الاستعمال اللغوي ، فانتقل اللفظ من معناه أو تعداه إلى معنى آخر بالمجاز أو التخصيص أو التعميم أو غير ذلك مما هو معروف في مظاهر التطور الدلالي ، واكتسبت تلك الألفاظ من خلال سياقات الكلام وترابط الجمل معاني غير تلك المعاني المتطورة ، دعت إليها مقامات الحال ، وفُهِمَ المعنى المراد منها في النص بحسب ما قد أحاط بها من كلمات وجمل ، فأصبح لها في ظل السياق معانٍ ثانوية بجانب المعنى الأصلي أو التطوري ، كالدلالة اللزومية والدلالة التضمنية أو غيرها مما يستدعيه السياق ، وهو ما يسمى عند علماء اللغة المتقدمين بـ " معنى المعنى " .

كل تلك الطرق الدلالية المتنوعة قد استقر استعمالها وعُبِّدت لدى المجتمع العربي منذ اكتمال مراحل النضج والفصاحة عند العرب من أوائل العصر الجاهلي وحتى مجيء الإسلام .

والقرآن الكريم فصيح ، بلغة الفصحاء من العرب نزل ، فكان خير مصور لما عليه اللغة العربية من تنوع لمعاني الألفاظ في أساليبه وعباراته القوية المحكمة، وقد أفصح عن ذلك علماء التفسير وأهل التأويل ، وخاصة المتقدمين منهم كأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى اليزيدي في كتابه : " غريب القرآن وتفسيره " .

لذا فقد وقع اختياري على هذا الكتاب ؛ لأتناول من خلاله موضوع هذا البحث ، والذي جاء بعنوان : " دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي المتوفى سنة ٢٣٧هـ .

وقد كان وراء اختيار هذا البحث أسباب عدة منها :

١- أن المؤلف جمع بين التفسير اللغوي والتفسير بالمأثور ، ولم يبين علاقة أحدهما بالآخر ، وعلى أي الدلالة اللغوية جاء التفسير بالمأثور ، فضلاً عن أنه من أئمة اللغة المتقدمين .

٢- تعرض المؤلف لكثير من مظاهر التطور الدلالي وأنواع الدلالات، من ذلك دلالة التعميم كما في قول الله (تعالى) : ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[1]، حيث قال : " أي : ما ذكر عليه اسم غير الله ، وأصل الإهلال : الصوت والكلام ، واستهل الصبي : إذا

---

(١) المائدة من الآية [٣] .

صاح ، وأهل بالحج إذا تكلم به ، وكل رافع صوته مهلّ ، يقال : أهلّ بالحج : إذا لبّى "[١] .

فقوله : أصل الإهلال الصوت ... وكل رافع صوته مهل ، يسمى بالتعميم الدلالي في مصطلحات علم اللغة الحديث .

ومنها تناوله للدلالة المجازية ، أو النقل بالمجاز ، كما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾[٢] ، فقد قال ابن اليزيدى: " أي : حظًا ونصيبًا ، وإنما أصلها من الدَّلو ، يقال : للدلو الذَّنُوب والسَّجل ، شبه العطاء والنصيب به"[٣]، فهو من الانتقال بالاستعارة لعلاقة المشابهة .

ومنها ذكره الدلالة اللزومية أو المعنى الكنائي ، ففي قوله (تعالى) :﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الْغَآئِطِ ﴾[٤] ، يقول في الغائط : " كناية عن قضاء الحاجة ، والغائط من الأرض الواسع الفسيح " [٥]، فهو يذكر المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الكنائي دون ربط بينهما بوجه من أوجه العلاقات الدلالية . ومن لازم المعنى – أيضاً– قوله في تفسير قول الله (تعالى) :﴿ لا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٦]

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص ٥٣ .
(٢) الذاريات من الآية [٥٩] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١٦٨.
(٤) النساء من الآية [٤٣] .
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص٥٣.
(٦) الحجرات من الآية [١] .

: " العرب تقول : فلان يقدم بين يدي أبيه ، أي : يُعَجِّلُ بالأمر والنهي دونه " [١].

ومن أنواع الدلالات ، الدلالة السياقية أو دلالة الكلمة حسب ما يقتضيه السياق أو المقام كما جاء في قوله (تعالى) : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[٢]، يقول : " موجِّهًا وجهه إليها ، فالفعل لـ "كل" والتولية في هذا الموضع إقبال ، وفي قوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ [٣]، و ﴿ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [٤] فِرار ، وقولك في الكلام : كان فلان موليًا معرضًا عني فانصرف إليّ، أي: أقبل إليّ ..."[٥].

٣- ذكر في مؤلفه هذا كثيرًا من القضايا الدلالية ، والتي من أهمها:

أ- التأصيل الدلالي أو الاشتقاق اللغوي ، وهو رد معنى الكلمة إلى أصلها الذي أخذت منه ، من ذلك :

- تعليل التسمية ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾[٦]، قال ابن اليزيدي : " قال بعض المفسرين : إن موضع الطواف بكة ؛ لأنه يبك بعض الناس بعضًا وهو الازدحام ، واسم القرية مكة، ويقال: بكة مأخوذ من بككت الرجل أي : وضعت منه وردت نخوته ؛ وكأنها تضع من نخوة المتجبرين وأنشد ...

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص ١٦٥ .
(٢) البقرة من الآية [١٤٨] .
(٣) التوبة من الآية [٢٥].
(٤) آل عمران من الآية [١١١] .
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص٣١ .
(٦) آل عمران من الآية [٩٦] .

إذا الشّرّيب أخذته آكّه ** فخلّه حتّى يبُكّ بكّه "[١] .

– الاشتقاق الجزئي ، وهو ما يسمى بطريقة الأخذ أي :أخذ الكلمة من الأصل الثلاثي اللغوي لها ، ومنه قوله (تعالى) : ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾ [٢]، قال : " الخلَّة : المودة والمحبة ، والخليل مشتق من ذلك " [٣].

– الاشتقاق التطوري ، ومنه ما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ [٤]، قال : " المؤتفكات : قوم لوط ، ائتفكت بهم الأرض : انقلبت بهم ، ومنه الإفك وهو الكذب ؛ لأنه قلب الحديث عن وجهه " [٥]، فهو تطور في المعنى من المحس إلى المعنوي المجرد [٦].

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص٤٣ ، والبيتان من الرجز وهو في المحكم والمحيط الأعظم [ب ك ك] وتاج العروس [ش ر ب] ، والأكة : الشدة من شدائد الدهر ، وشدة الحرّ – أيضًا ، والبك : الازدحام ، و الشريب : الذي يسقي إبله مع إبل صاحبه ، يقول : إذا ضجر الذي يسقي إبله مع إبلك لشدة الحرّ انتظارًا ، فخله حتى يزاحمك .

(٢) البقرة من الآية [٢٥٤] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص٣٧ .

(٤) التوبة من الآية [٧٠] .

(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ٧٤ .

(٦) يراجع في أنواع الاشتقاق الدلالي كتاب علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقيًا لأستاذنا الدكتور / محمد حسن حسن جبل ص ٦٣ وما بعدها

-الرجوع بالكلمة إلى أصلين مختلفين في الدلالة ، من ذلك قوله في بيان قوله (تعالى) : ﴿ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾[١]: " قالوا : من السِّحر وقال بعضهم : من السُّحْر ، والسُّحْر : الرئة ، والمعنى : أنه كان يأكل الطعام ، وكل شيء يأكل الطعام يقال له سُحْر " [٢].

بـ العلاقات الدلالية أو علاقة اللفظ بالمعنى :

من ذلك تناوله المشترك اللغوي بنوعيه اللفظي والمعنوي (الترادف) ، وهو ما يعرف في علم التفسير قديمًا بـ " الأشباه والنظائر " .

فمن المشترك المعنوي : ما ذكره عند تفسير لفظ الفريّ من قوله (تعالى) ﴿ شيئًا فريًا ﴾ [٣]، يقول : " مصنوعًا ، يقال : فريت الكذب وافتريته ، وكذلك ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[٤] : تصنعونه ، خلقت الكذب واختلقته مثل فريته وافتريته . ومنه :﴿ إِنْ هَـذَا إِلا خَلْقُ الأوَّلِينَ ﴾[٥] ، أي : افتراء الأولين ، وقرئت " خُلُقُ الأولين " وقد يكون من هذا ، يقال : تحدَّثت بالأحاديث الخُلُق ، أي: المختلقة ، أي الكذب ، ويكون خُلُق الأولين : شيمة الأولين "[٦].

فهو يفسر الفري والخلق في الآيتين بمعنى واحد ، فهما من قبيل المترادف .

---

(١) الفرقان من الآية [٨٦] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١٠٠ .
(٣) مريم من الآية [٢٧] .
(٤) العنكبوت من الآية [١٧] .
(٥) الشعراء [١٣٧] .
(٦) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٠ .

ومن المشترك اللفظي ما ذكره في بيان قوله (تعالى) : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾[١]، حيث قال : " أولياء وورثة ... والمولى : ابن العم والمولى : الحليف، والمولى: المُنْعِمُ ، والمولى: المُنْعَمُ عليه"[٢].

ومن التضاد وهو نوع من المشترك اللفظي ما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾[٣]، يقول : " معناه : باعوا ، وللعرب في شروا مذهبان :

الأكثر أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا ، وربما جعلوهما جميعًا في معنى باعوا ، وكذلك البيع يقال : بعت الثوب أي: أخرجته من يدي ، وبعته اشتريته، وحكي عن بعض العرب أنه قال : بع لي تمرًا بدرهم ، أي : اشتر ، وقال الشاعر :

ويأتيك بالأخبارِ مَن لم تَبِعْ لهُ ∴ بتاتًا ولم تَضْرِبْ لهُ رأسَ مَوْعِدِ[٤]

والبِتات : الزاد ، أي : لم تشتر له ، وقال الراجز :

إذا الثريَّا طَلَعَتْ عشايا
فَبِعْ لِراعي غَنَمٍ كَسايا

أي : اشتر "[٥].

وفي قوله (تعالى) : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[٦]، يقول : " أخفيها وأظهرها بمعنى واحد "[٧] .

---

(١) النساء من الآية [٣٣] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص٤٧.
(٣) البقرة [٩٠] .
(٤) البيت من الطويل ، وهو في تهذيب اللغة [ب ا ع] وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٢٠.
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٧ولم أجد الرجز في غيره .
(٦) طه [١٥] .
(٧) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٣.

ج- يذكر القراءات القرآنية ويوجه معانيها ، ففي قول الله (تعالى) : ﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ ننسأهَا ﴾ [١]، قال : " نؤخرها ومنه البيع بنسيئة ، أي : بتأخير ، ومنه : نسأ الله في أجلك. ومن قال : ننسها فمعناه: نتركها من النسيان ، ومنه : ﴿ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[٢].

٤- يستشهد على المعاني اللغوية ليس بالفصيح من الحديث النبوي والشعر والمثل فحسب ، وإنما يذكر الفصيح من أقوال العرب سواء أكان مما سمعه عن بعضهم رواية أم كان من المشهور المتداول بينهم .

فمن الأول ما جاء في قوله (تعالى) : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ [٣]، يقول : " أي : مكذبون ، والمدهنون : المكذبون ، والكافرون كلٌ قد سمعته ... "[٤] .

ومن الثاني : قول الله (تعالى) : ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾[٥] ، يقول : " لا شرقية تضحا للشرق ولا غربية تضحا للغرب ، ولكنها شرقية غربية يصيبها الشرق والغرب ، أي الشمس والظل ، يقولون : " لا خير في شجرة في مقناة " ، المقناة : ما كان

---

(١) البقرة [١٠٦] .
(٢) التوبة [٦٧] . غريب القرآن وتفسيره ص ٢٩.
(٣) الواقعة [٨١].
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ١٧٦.
(٥) النور [٣٥] .

في أسفل الجبل مما لا تصيبه الشمس ، " ولا خير فيها في مضحاة " المضحاة : ما كان أعلا الجبل مما تصيبه الشمس ، وهي التي تبرز للشمس ولا يصيبها الظل " (١).

٥- يذكر اللهجات العربية المتعلقة بالمستوى الصوتي أو الصرفي أو الدلالي، وتارة ينسب اللهجة إلى قائليها وتارة لا ينسبها، فمن المستوى الصوتي قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾(٢)، قال : " يُلْحِدون ويَلْحِدون لغتان : يجورون ، والإلحاد الجور عن القصد ، والملحد : المائل عن الحق ، وإنما سمي اللحد [لحدًا] ؛ لأنه في ناحية من القبر ... " (٣).

ومن المستوى الصرفي قوله (تعالى) : ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾(٤)، يقول : " واتَّبعه لغتان ، فكأن أتبعه قفاه ، واتَّبعه مشدداً : حذا حَذْوه ولا يجوز أن تقول : أتبعناك وأنت تريد اتَّبعناك ؛ لأن معناه : اقتدينا بك " (٥).

ومن المستوى الدلالي قوله (تعالى) : ﴿هَيْتَ لَكَ ﴾(٦) ، قال : " [هيت] بلغة أهل حوران : تعالى . ومن قال : هئت لك فمعناه تهيأت لك – بالهمز " (٧).

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص١٢٨.
(٢) الأعراف [١٨٠] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٧.
(٤) الأعراف [١٧٥] .
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٧.
(٦) يوسف [٢٣].
(٧) غريب القرآن وتفسيره ص٨٣.

إلى غير ذلك من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع وهي كثيرة ومتنوعة أكتفي منها بما ذكرت خشية الإطالة في غير موضعها ،

وتكمن أهمية البحث في المحاولة الجادة من الباحث في الربط بين دلالة اللفظ في التفسير ودلالته في اللغة العربية في مرحلة مهمة من مراحل التاريخ اللغوي ، وهي مرحلة التقاء الفصاحةِ العربيةِ الثقافةَ الإسلاميةَ ، وهي مرحلة تعرف عند أهل اللغة بـ " عصر تدوين الرواية " ؛ فبينت المعنى الأصلي مما تفرع منه بوجه من أوجه التفرع الدلالي في اللغة ، مستشهدًا على ذلك بفصيح كلام العرب شعرًا ونثرًا ، ثم حددت نوع دلالة اللفظ في التفسير معزوًا للقائلين به ؛ فتبين من خلال البحث أن دلالة اللفظ في التفسير تارة تأتي من قبيل المعنى الأصلي للفظ في اللغة ، وتارة من قبيل المعنى الشرعي له ، وأخرى من قبيل الدلالة العرفية أو اللزومية أو السياقية أو غير ذلك من الدلالات اللغوية ، مما يجعل دلالة اللفظ في التفسير جزءاً من دلالته في اللغة ، وعلاقته باللغة علاقة الفرد بجماعته أو الخاص بعمومه .

هذا وقد واجهتني صعوبات كثيرة ومتنوعة عند المحاولة لربط الدلالات اللغوية للكلمة ، وذلك عند ردها جميعًا إلى المعنى أو المدلول الأصلي في اللغة ، وهو ما يعرف بالتأصيل الدلالي ، فتارة تكون اللفظة منتمية إلى معنى محوري عام يجمع تحته دلالات عدة ، وتارة ترجع دلالات اللفظة إلى أصل واحد تفرعت عنه بواسطة التطور الدلالي ، وتارة أخرى يكون التفرع أو التعدد لمدلولات اللفظ

ناتج عن استعمال الكلمة في مجال معين من مجالات الحياة الاجتماعية عند العرب قديمًا أو حديثًا نسبيًا مما يعرف في الدرس الدلالي الحديث بالدلالة العرفية ، فقد ألجأني هذا التأصيل إلى مقارنة دلالات الكلمة بعضها ببعض في أكثر كتب المعاجم اللغوية القديمة ، حتى أتمكن من معرفة الأصلي من تلك الدلالات من الفرعي باحثًا مع ذلك عن السياقات و الظروف الخارجية التي تحيط باللفظة داخل الآية الكريمة المراد تفسيرها ، مستخدمًا لبعض قوانين التطور الدلالي عندما يخفى وجه التأصيل لمعاني الكلمة ، من ضرورة سبق الدلالة المحسة في تاريخ التطور للدلالة المعنوية المجردة ، وتقديم الأكثر استعمالاً على الأقل في كلام العرب وغير ذلك من الصعوبات ، وهي في مجملها هينة يسيرة إذ أضاف البحث جديدًا إلى المكتبة العربية ، وجاء موافقًا للغرض المنشود منه .

هذا والمنهج الذي سرت عليه في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي لمدلولات اللفظ في اللغة والتفسير حسبما جاء في كتاب غريب القرآن وتفسيره.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وتسعة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع ، أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن التنوع الدلالي لألفاظ اللغة العربية التي حوتها المعجمات ، وأسباب اختيار الموضوع وأهميته ، وبعض الصعوبات التي واجهتني في أثناء البحث والمنهج الذي سرت عليه ، وأما التمهيد فتناولت فيه المؤلف، والكتاب ومنهج المؤلف فيه ، وجعلت لكل نوع من أنواع دلالة اللفظ في التفسير مبحثًا خاصًا به، فجاء البحث في تسعة مباحث هي:

المبحث الأول : الدلالة الأصلية .

المبحث الثاني : الدلالة المجازية .

المبحث الثالث : الدلالة العرفية .

المبحث الرابع : الدلالة الشرعية .

المبحث الخامس : دلالة التخصيص .

المبحث السادس : دلالة التعميم .

المبحث السابع : الدلالة التضمّنية .

المبحث الثامن : دلالة الالتزام .

المبحث التاسع : الدلالة السياقية .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال البحث ، ، والله من وراء القصد وهو المستعان ، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون .

تمـــهيد

المؤلف والكتاب :

أولاً : المؤلف :

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أبي محمد يحيى بن المبـــارك بن المغيرة العدوي ، المعروف بابن اليزيدي ، كان أديبًا عالمًا عارفًا باللغة ، أخذ عن يحيى بن زياد الفراء وغيره ، وصنف كتابًـــا فـــي غريب القرآن وكتابًا في النحو مختصرًا ، وكتاب الوقـــف والابتـــداء وكتاب إقامة اللسان على صواب المنطق .

روى عنه ابنا أخيه أبو العباس الفضل بن محمد بـــن يحيـــى وعبد الله بن محمد ، وجعفر بن محمد الأدمي وأبـــو حـــافظ الـــداني وغيرهم ، وكان ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى يقول : ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم من عبد الله بن محمد اليزيدي ، وخاصـــة فـــي القرآن ومسائله . وقال عنه ابن الجزري (ت٨٣٣هـــ) : " مشـــهور ثقة أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبيه عن أبي عمرو [بن العلاء] ... وله كتاب حسن في غريب القرآن ، توفى سنة ســـبع وثلاثـــين ومائتين للهجرة [١].

وأبوه يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي العدوي،مولى لبني عدي بن عبد مناة من الرباب ؛ ولـــذلك سُـــمِّي العـــدوي . ولقـــب

---

(١) ينظر ترجمته في تـــاريخ بغـــداد للخطيـــب البغـــدادي ١٩٨/١ والفهرست لابن النديم ص ٧٥ والأنساب للسمعاني ٥/ ٦٩٣وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٤٦٣/١ ومعجم المـــؤلفين /عمر رضا كحالة ١٣٩/٦-١٦٣.

باليزيدي؛ لأنه كان منقطعًا إلى يزيد بن منصور الحميري، خال محمد المهدي " أمير المؤمنين " يؤدب ولده ، فعرف به ونسب إليه . كان من أئمة القراء الفصحاء ، عالمًا بلغات العرب صحيح الرواية صدوق اللهجة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد في مسجد واحد يقرآن الناس ، له من المصنفات : " النوادر " و" المقصور والممدود " و " النقط والشكل " وغيرها ، توفي سنة اثنتين ومائتين عن أربع وسبعين سنة[١] .

وللمؤلف – أيضًا – إخوة من أهل العلم والفضل ، منهم إبراهيم ابن يحيى الإمام اللغوي الأديب الشاعر أبو إسحاق ، له مصنفات منها كتاب " مصادر القرآن " توفى سنة خمس وعشرين ومائتين ، وأخوه محمد بن يحيى الأديب الشاعر اللغوي أبو عبد الله ، له شعر حسن كثير ، توفى بعد العشرين ومائتين [٢].

وإذا كانت كتب التراجم التي وقفت عليها لم تسعفني في معرفة تاريخ ولادته ونشأته وحياته الثقافية ، إلاّ أنها أفصحت عن ثقافته ، وأنه نشأ وترعرع في بيت علم ، فأبوه وإخوته وأبناء إخوته قد سلكوا طريق العلم والأدب والتأليف مثله ، فهو إذًا كما يقول

---

(١)ينظر ترجمته في الفهرست ص٧٥والأنساب٥/٦٩١والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي٢/١٧٣.وشذرات الذهب لابن العماد ٢/٤

(٢) ينظر الفهرست ص٧٥ وديوان الإسلام لابن الغزي ١/٩٥ والوافي بالوفيات للصفدي ١١/١٠٤.

الصفدي(ت٧٦٤)هـ : " من البيت المشهور بالفضل ونقل القراءات واللغة والأخبار " [١].

ثانيًا : الكتاب:

جاء الكتاب في مخطوط بعنوان : " غريب القرآن وتفسيره " ، وهو الذي ورد في كتب التراجم بعنوان " غريب القرآن " والذي قال عنه بعض المترجمين لمؤلفه – كما سبق : " وله كتاب حسن في غريب القرآن " .

وقد قام بتحقيقه الدكتور /عبد الرزاق حسين ، الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – فرع الإحساء ، وطبع في مؤسسة الرسالة – بيروت للمرة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، فيما يربو على المائتين وعشرين صفحة ، وله طبعة أخرى بتحقيق وتعليق / محمد سليم الحاج ط / عالم الكتب بيروت الأولى ١٩٨٥م .

والكتاب من رواية محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، الإمام اللغوي المشهور المتوفى سنة عشر وثلاث مائة [٢]، عن عمه أبي العباس الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى اليزيدي ، أحد النبلاء والرواة العلماء ، برع في علم اللسان أخذ عن عمه عبد الله بن يحيى هذا الكتاب رواية ، وأخذ عن

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٤/١١ .

(٢) ينظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١٣/٣ والفهرست ٧٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي٣٦١/١٤ وغاية النهاية ١٥٨/٢ وبغية الوعاة للسيوطي١٢٤/١.

محمد بن سلام الجمحي ، وأخذ عنه جم غفير منهم ابن أخيه محمد ابن العباس ، توفي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين [١].

منهج المؤلف فيه :

من خلال البحث في دلالات الألفاظ التي فسرها ابن اليزيدي ، تبين أن المنهج الذي سار عليه في مؤلفه هو الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي أو الجمع بين الرواية والدراية [٢]، فهو إذ يفسر اللفظ بما هو معروف في كلام العرب ويحدد المعنى اللغوي المراد منه في الآية ، ويستشهد – في بعض الأحيان – على ذلك بكلام العرب شعرًا ونثرًا ، نراه يجمع مع هذا التفسير بالمأثور عن رسول الله (ﷺ) والمشهورين من الصحابة وأئمة التابعين ، غير أن الإيجاز الذي التزمه في كتابه هذا جعله لا يذكر السند إلى من يروي عنه ، وإنما يشير إلى أنه من المأثور بقوله : " وفي التفسير كذا "

---

(١) ينظر تاريخ بغداد ٣٧٠/١٣وتاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ٣٩٥/١١وتاريخ الإسلام للذهبي ٤١٥/٢٠ وبغية الوعاة ٢٤٦/٢ .

(٢) التفسير بالمأثور هو : ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة والتابعين مبينًا لمراد الله (تعالى) من كتابه ، ويسمى التفسير بالرواية . والتفسير بالرأي هو : التفسير بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر العربي القديم ، وذلك بعد وقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، ويسمى التفسير بالدراية ، والتفسير اللغوي . ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١١/٢ والتفسير و المفسرون د/محمد حسين الذهبي ١٥٤/١- ٤١/٤ ودراسات في التفسير ومناهج المفسرين د/ محمد كامل مهران ص ٤٠ ، ١١٣ وجهود سيبويه في التفسير د/ أحمد محمد الخراط ص٥ .

أو " قال بعض المفسرين كذا " ويذكر المعنى المأثور في تفسير اللفظ دون عزوه إلى القائلين به إلاّ قليلاً .

ففي قول الله (تعالى) : ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[١] ، يقول :" فلا رفث : فلا لغو من الكلام ، واللغو واللغا : التكلم بما لا ينبغي،وقال المفسرون : هو الجماع في هذا الموضع "[٢]

فابن اليزيدي يذكر للفظ الرفث معنيين ، أحدهما : المعنى اللغوي المسمى بالتفسير دراية ، وهو اللغو المراد به في لغة الغرب عامة : الفحش والشتم ، والثاني : المعنى المأثور عن أئمة المفسرين وهو في هذه الآية الجماع خاصة ، وهذا المعنى هو المأثور عن ابن عباس (ﷺ) وعكرمة والحسن والضحاك وعطاء بن رباح كما سيأتي ذلك في الشرح .

وفي تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[٣] يقول أبو عبد الرحمن : " الحَفَدة : الأعوان والخَدَم واحدهم حافد ، وقالوا : الأختان في التفسير، ويقال : مرَّ فلان يَحْفِد حَفَدانًا، ومنه : " وإليك نسعى ونَحْفِد " أي : نسرع " [٤].

فهو يذكر لكلمة " حفد " معنيين أحدهما : المعنى العرفي للكلمة في اللغة ، وهو الدلالة على الأعوان والخدم ، والثاني : معناها في التفسير بالمأثور عن ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك ، ثم يشير إلى المعنى الأصلي للكلمة في اللغة ، والذي تفرع منه المعنيان

---

(١) البقرة [١٩٧] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص٣٤.
(٣) النحل [٧٢] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص١٠٢.

السابقان ، وهو الدلالة على الإسراع في الخطو ، ويستشهد له بما ورد في دعاء القنوت من حديث عمر بن الخطاب (ﷺ) مرفوعًا – كما سيأتي ذلك في الشرح .

كما أنه قد يقتصر – للإيجاز – على التفسير اللغوي فقط ، وهو المسمى بالتفسير بالرأي أو الدراية ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾[١] ، يقول : " نبتهل : نلتعن ، تقول العرب : ماله ؟ بهله الله أي : لعنه الله " [٢] ، وفي قوله : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾[٣] يقول : " نصْف وعدل ، تقول العرب : قد دعاك إلى السواء فاقبل منه "[٤] .

كذلك قد ينصُّ في بعض الآيات على التفسير بالمأثور دون التفسير اللغوي ، من ذلك قوله في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً ﴾ [٥]: " السيد : الحليم في التفسير " [٦]، وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك [٧].

وفي قوله (تعالى) : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾[٨] قال : " الطاغوت : الشيطان في التفسير" [٩]، وهو التفسير المروي عن عمر بن الخطاب وقتادة والشعبي والضحاك والسُّدِّي[١٠].

---

(١) آل عمران [٦١] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص٤٢.
(٣) آل عمران [٦٤] .
(٤)غريب القرآن وتفسيره ص٤٣.
(٥) آل عمران [٣٩] .
(٦) غريب القرآن وتفسيره ص ٤١ .
(٧) جامع البيان للطبري ٣٧٥/٦.
(٨) المائدة [٦٠] .
(٩) غريب القرآن وتفسيره ص ٤٩.
(١٠) جامع البيان ٤١٦/٥ .

المبحث الأول

الدلالة الأصلية

وهي المعنى المستفاد من اللفظ بحسب الوضع الأصلي له في اللغة [١]، أو هي : كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه ، ويقال لها الدلالة اللفظية الوضعية [٢]، ويقال للمعنى المعبر عنه بتلك الدلالة : المعنى الأساسي ، أو الأولي أو المركزي ، وهو أبسط المعاني والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة [٣]، والمراد بأولية المعنى أو أصالته هي الأولية النسبية لا المطلقة ، وهو أقدم معنى للفظ وصل إلينا من موروث العصر الجاهلي المتمثل في فصيح شعره ونثره ، وليس المراد به الأصالة المطلقة أو الوصول به إلى نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، فهذا ما لا سبيل للوصول إليه في مجال البحث العلمي [٤].

وقد سماه الإمام عبد القاهر الجرجاني " المعنى " ، وسمى ما يتفرع منه أو يتطور عنه من كناية واستعارة أو تمثيل " معنى

---

(١) ينظر المثل السائر لابن الأثير ٧٤/١ وفي الدلالة اللغوية د/عبدالفتاح البركاوي ص ٣٦ بتصرف

(٢) ينظر التعريفات للجرجاني ١٤٠.

(٣) ينظر علم الدلالة د/أحمد مختار عمر ص ٣٦ والأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها د/ هادي نهر ٣٣٧.

(٤) ينظر علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقيًا د/ محمد حسن جبل ص١١١ – ١١٣.

المعنى" حيث يقول : " ... فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول : "المعنى" و" معنى المعنى " ، تعني بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ، و بـ " معنى المعنى " أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ... " [١]، وقد أطلق على المعاني المفهومة من ظاهر اللفظ مصطلح " المعاني الأُول " وعلى " معنى المعنى " مصطلح : " المعاني الثواني " وعلى ذلك فالمعاني الأول هي : المفهومة من أنفس الألفاظ .. والمعاني الثواني هي التي يومأ إليها بتلك المعاني الأُول [٢].

هذا ومن خلال تتبع دلالة بعض الألفاظ في تفسير القرآن لابن اليزيدي والكشف عن مراحل تطورها تبين أن معناها في التفسير قد جاء على الدلالة الأصلية له في اللغة ، ومن هذه الألفاظ ما يلي :

أ- المحرر:

في قول الله (تعالى) : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾[٣] قال ابن اليزيدي : " محررًا : عتيقًا لله ، وقالوا : خادمًا للبيعة في التفسير " [٤]، فهو يفسر لفظ " محررًا " بالعتق ، وهي من الدلالة اللغوية له ، ثم يبين أن اللفظ في تفسير هذه الآية بمعنى الخدمة للبيعة " الكنيسة " خاصة . وظاهره أنه تفسير بما يلازم ضد معناه في اللغة ، وليس الأمر كذلك ؛ لاتساع الدلالة اللغوية لهذا اللفظ .

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٠٣ .
(٢) ينظر المصدر السابق ٢٠٤ وفي الدلالة اللغوية ص ٣٧.
(٣) آل عمران من الآية [٣٥] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٤١ .

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة " ح ر ر " في كلام العرب : خلوص الشيء وبراءته من الشوائب أو العيب والنقص ،يقال : حَرَّ الرمل يَحرُّ حَرارًا وحُرِّية: إذا خَلُص من الاختلاط بغيره ، والطين الحُرُّ : الذي خلص من الرمل والحصاة والحَمْأة[١] والعيوب . ورجل حُرٌ : إذا كان خالصًا لنفسه ، ليس لأحد عليه متعلق[٢] ، قال الشاعر في الحر من الرمل :

وأقبَلَ كالشِّعرى وضوحًا ونُزهةً ∴ يُواعِس مِن حُرِّ الصَّريمةِ مُعظَمًا[٣]

ويقال : حرّرتُ الكتاب ، إذا : خلَّصته وهذَّبْتهُ ، فلم يبق فيه ما يحتاج إليه من إقامة حروفه وإصلاح سقطه ، وتقول العرب في الرجل يُمدح : هو من حُرِّيَّة قومه ، أي من خالصهم ، وما في حرية العرب والعجم مثله [٤]، قال ذو الرمة :

---

(١) الأسود المنتن من الطين .

(٢) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس والمصباح المنير للفيومي وتاج العروس للزبيدي[ح ر ر] .

(٣)البيت للأعشى من الطويل ، وهو في ديوانه ص١٨٨ وجمهرة اللغة لابن دريد ٢٥/١ ، والوعس : الرمل السهل ، وحر الصريمة : القطعة الخالصة منه ، والشِّعرى : كوكب معروف : يصف ثورًا .

(٤) ينظر العين للخليل وتهذيب اللغة للأزهري وأساس البلاغة للزمخشري [ح ر ر] .

فصار حيًّا وطَبَّقَ بَعْدَ خَوْفٍ ∴ على حُرِّيَّةِ العربِ الهُزالى[1]

والحُرُّ من الرجال خلاف العبد ، والحرة خلاف الأمة ، مأخوذ من ذلك المعنى ؛ لأنه خلص من الرّق [2]، قال (تعالى) : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنْثَى ﴾ [3]، وقال الشاعر :

فَمَا رُدَّ تَزْوِيجٌ عليه شَهَادَةٌ ∴ وما رُدَّ مِن بعد الحَرارِ عتيقُ[4]

هذه هي الدلالة الأصلية لمادة [ح ر ر] في اللغة ، ثم اكتسبت التعميم الدلالي والاتساع عن طريق المجاز ، فقيل لكل فاخر جيد من شعر أو غيره : حُرّ ، من ذلك الحُرُّ بمعنى : الحسن الجميل ،كأنه نقي من العيب والقبح [5]، قال طرفة :

لا يَكُنْ حُبُّكِ داءً داخِلاً ∴ ليسَ هذا منكِ ماوِيُّ بِحُرْ[6]

أي : ليس هذا منك بحسن جميل .

والحُرُّ : الكريم على جهة الاستعارة ، كما يستعار العبد للئيم ، من ذلك قولهم : امرأة حُرَّة ، أي : كريمة ، وسحابة حرة : كثيرة المطر ، وناقة حرة : سريعة السير[1] ، قال امرؤ القيس :

---

(١) البيت من الوافر وهو في ديوانه ص ٢٠٣ وتهذيب اللغة [ح ر ر] ، والهزالى : جمع هزيل ، وهو النحيف ، وطبق : من المطابقة وهي مشي المقيد .

(٢) المصباح المنير [ح ر ر] .

(٣) البقرة من الآية [١٧٨] .

(٤) البيت من الطويل وهو لشيخ من باهلة كما في تهذيب اللغة [ح ر ر] وبلا نسبة في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده [ح ر ر].

(٥) ينظر تهذيب اللغة [ح ر ر] .

(٦) البيت من الرمل وهو في ديوانه ص٤٦ والعين [ح ر ر] ، وماويّ أصلها : ماويّة اسم امرأة ، وداخلاً : من الدَّخَل ، وهو الفساد .

لَعَمْرُكَ ما قَلْبي إلى أَهْلِهِ بحُرْ ∴ ولا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتي بِشُرّ[٢]

وقال الأعشى في وصف امرأة :

حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنامِلِ تَرْتَبُّ ∴ سُخامًا تَكُفُّهُ بِخِلالِ[٣]

وقال عنترة في – وصف السحابة بالجود والكرم – أيضًا :

جادَتْ عليها كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ ∴ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرارَةٍ كالدِّرْهَمِ[٤]

وجمع الحُرِّ : أحرار ، وجمع الحُرَّة : حرائر على غير قياس ؛ لأنها بمعنى كريمة وعقيلة فجمعت كجمعها[٥] .

وبالجملة فإفادة لفظ الحُرِّيَّة وما تفرع منها هو : التخليص ، حتى قيل في تعريف التحرير : التهذيب وأخذ الخلاصة وإظهارها ، بمنزلة جعل الشيء حرًّا خالصًا، واسم للأمر المنتفع به [١].

---

(١) ينظر تهذيب اللغة المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٩٤/١ وتاج العروس [ح ر ر] .

(٢) البيت من الطويل،وهو في ديوانه ص٩٨وتهذيب اللغة[ح ر ر]، وقوله إلى أهله أي: إلى صاحبته، بحر أي : بكريم؛ لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه فيصبو إلى غير أهله ، فليس هو كريم في فعله، والقرّ : الراحة . .

(٣) البيت من الخفيف وهو في ديوانه ص١٦٤ وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ٣٦ ، وطفلة الأنامل :رخصة الأصابع ، وترتبُّ : من الرُّبّ ، و السخام : السواد ، والمراد هنا الشعر الأسود اللين ، أي تربه بالدهن ، والخلال جمع خلالة ، عود من الخشب يشد به الشعر .

(٤) البيت من البسيط ، وهو في ديوانه ص٨١ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٦ ، والبكر من السحاب : السابق مطره والجمع : أبكار ، والحرة : الخالصة من البرد والريح ، والقرارة : الحفرة .

(٥) تاج العروس [ح ر ر] .

دلالة اللفظ في التفسير :

وأما تفسير قوله (محررًا) فقد أثر عن أئمة المفسرين فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن معنى المحرر العتيق لله من كل شغل من أشغال الدنيا ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير ، وهو المروي – أيضًا – عن أبي عبيدة [٢]، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم .

الثاني : " محررًا " خادمًا للبيعة أو[الكنيسة] ، وهو قول ابن عباس ومجاهد [٣]، وبه قال ابن اليزيدى – أيضًا .

الثالث : أنه مُخْلَصًا للعبادة ، قاله الشعبي [٤].

فمن هذا العرض يتبين أن التفسيرات الثلاثة لا تخرج عن الدلالة اللغوية الأصلية للفظ "محرر"؛ لأن المقصود من الحرية في هذه الآية ألاّ يجري على المحرر حكم السبي ، وألا تتملكه الأخلاق الرديئة والرذائل الدنيوية[٥]، فهي مأخوذة من التحرر بمعنى التخلص ، هذا على القولين الأول والثالث ، وعلى القول الثاني " خادمًا للبيعة " معناه – أيضًا – إفراده لها وتخلصه لخدمتها ، لا يشغله عن ذلك شيء ، من قول أهل اللغة : حرَّره لأمر كذا ، أي : أفرده له لا

---

(١) التعاريف للمناوي ص ١٦٣ .
(٢) ينظر مجاز القرآن ١٨/١ وجامع البيان للطبري ٣٢٩/٦ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٥٥/٢.
(٣) ينظر صحيح البخاري ١٧٥/١ وجامع البيان ٢٩/٦ وأحكام القرآن للجصاص ٢٩١/٢ وروح المعاني للألوسي ١٣٤/٣ .
(٤)ينظر جامع البيان ٣٢٩/٦ وأحكام القرآن للجصاص ٢٩١/٢ والنكت والعيون للماوردي٣٨٧/١ .
(٥) ينظر روح المعاني ١٣٤/٣ .

يشغله بغيره [١]، قال الطاهر بن عاشور : " وإطلاق المحرر على هذا المعنى إطلاق تشريف ؛ لأنه لما خلص لخدمة بيت المقدس فكأنه حُرِّر من أسر الدنيا وقيودها إلى حرية عبادة الله (تعالى) " [٢].

ب – عضين :

في تفسير قول الله (تعالى) :﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[٣] قال أبوعبدالرحمن : " فرّقوه [و] عضّوه أعضاءً ، فآمنوا ببعض ولم يؤمنوا ببعض ، وقال بعض المفسرين : جعلوه سحرًا ، والعرب تقول للسحر : العِضة ، والعِضة : الكذب وجمعها عِضون ، وهو من العضيهة ، وقال الشاعر :

*** للماءِ مِنْ عِضاتهنّ زَمْزَمَة *** " [٤].

فابن اليزيدى يفسر كلمة " عضين " بمعنيين مختلفين ، أحدهما أنها جمع عضة من عضَّيْتُ الشيء : إذا فرَّقتُه وجزّأته ، والمعنى الثاني من العَضْه وهو السحر ، ويستشهد للمعنى الثاني ببيت من الرجز ، وليس بين المعنيين تقارب في الدلالة ، فكل منهما يرجع إلى أصل مغاير لما ينتمي إليه الآخر .

تصريف اللفظ ودلالته في اللغة :

---

(١) ينظر ديوان الأدب للفارابي ٣٠٩/١ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٣٢/٣ .
(٣) الحجر الآية [٩١] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٩٣ والبيت من الرجز ، وهو في جامع البيان ١٤٥/١٧ والنكت والعيون ١٧٣/٣، وقوله : عضاتهن ،يعني سحرهن ، والزمزمة : تتابع الصوت .

عضين جمع عضة بزنة " فعة " ، حذفت لامها في التصريف ، وقد اختلف أهل اللغة والعربية في المحذوف منها ، كما اختلفوا في اشتقاقها ، فقال بعضهم : أصلها عِضوة بزنة " فِعلة " ، جعلوا المحذوف منها واوًا ، ونظيرها في اللغة عِزة وأصلها عِزوة ، وثُبَة وأصلها ثُبْوَة ، وإنما كان المحذوف عندهم الواو ؛ لأنها تُردُّ في الجمع الصحيح ، فيقال : عِضوات [١]. قال الشاعر :

هذا طَـرِيقٌ يَـأزِمُ المآزِمـا
وعِضَواتٌ تَقْطَعُ اللَّهـازِمـا [٢].

وهي حينئذ مشتقة من قولهم : عضَّيْتُ الشيء تعضية: إذا فرّقته وعَضا اللحم والجزور يَعْضُوه عَضْوًا : فرقه ، وعلى ذلك فالعِضة : الفرقة من الناس ، وأيضًا – القطعة من الشيء ، قال الكسائي: في الدار فِرَقٌ من الناس وعِزون وعِضون وأصناف بمعنى واحد [٣] .

وعلى تلك الدلالة جاء قول الشاعر :

---

(١) ينظر تهذيب اللغة [ع ض و] وشرح الشافية لابن الحاجب ٦٦/٢ وشذور الذهب لابن هشام ص ٧٧ ، والعزين : الجماعات في تفرقة ، وثبة : جمعها ثُبات ، وهي من ثبيت الشيء ، إذا جمعته .

(٢) البيتان من الرجز ، ولم أقف على قائلهما ، وهما في الخصائص لابن جني ١٧٢/١ والمحكم والمحيط الأعظم [ع ض و] ، والمآزم جمع مأزم وهو المضيق ، واللهازم جمع لهزمة ، وهي أصل الحنك .

(٣) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ع ض و] .

وعَضّى بني عَوفٍ فأمّا عَدُوّهم ∴ فأرضى وأمّا العِزّ منهم فقيّرا[١]

يعني بقوله: وعضّى: سبّاهم وقطّعاهم بألسنتهما، وقال رؤبة:

*** وليس دينُ الله بالمُعَضّى *[٢]**

يعني : بالمفرّق ، ومن ذلك سمّي العضو من الإنسان وغيره من الحيوان عضوًا ، وجمعه أعضاء ، وهو كل عظم وافر من الجسد بلحمه [٣].

وفي حديث النبي (ﷺ) : (لاَ تَعْضِيَةَ عَلَى أَهْلِ الْمِيرَاثِ إِلاَّ مَا حَمَلَ الْقَسْمُ) [٤]، يعني : أن ما لا يحتمل القسْم كالحبة من الجوهر ونحوها لا يُفَرَّق ، وإن طلب بعض الورثة القسْم؛ لأن فيه ضررًا عليهم أو على بعضهم، ولكن يُباع ثم يقسم ثمنه بينهم بالفريضة[٥].

وبعض أهل اللغة يرى أن اللام المحذوفة هاء ، فأصل العِضة : عِضْهَة ، ونظيرها : شفة والأصل شفهة ، وكذلك سنة والأصل سنهة لأنها تجمع على عِضاه مثل: شفاه ؛ فتُرَدُّ الهاء في الجمع وتصغر على عُضَيْهَة بردّ الهاء – أيضًا [٦].

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في جامع البيان ١٤٧/١٧ والكشف والبيان للثعلبي ٣٥٣/٥ .
(٢) من الرجز وهو في ديوانه ص والعين [ع ض و] .
(٣) ينظر العين والمحكم [ع ض و] .
(٤) في السنن الكبرى للبيهقي ١٣٣/١٠ وكنز العمال للمتقي الهندي ٩/١١.
(٥) ينظر الصحاح للجوهري والنهاية لابن الأثير [ع ض و] .
(٦) ينظر شرح شافية ابن الحاجب ٦٦/٢ وشذور الذهب ص ٧٧ .

وهي عندهم مشتقة من مادة [ع ض هـ] التي تفيد في اللغة مطلق الإيذاء محسًّا كان أو معنويًّا ، وأصلها من العضاه : شجر شوك يؤذي ويجرح [١]، قال الجوهري : " العِضاه : كل شجر يَعْظُمُ وله شوك وواحدة العضاه عضاهة وعِضْهَة وعِضَة ، بحذف الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة "[٢] . قال الشاعر :

تاللهِ يَكْفُرُهم ما أَوْرَقَتْ عِضَةٌ ∴ وكان بالأَرْضِ من أَعلامِها عَلَمُ [٣]

وقال الآخر في جمعها :

فَأَقْسَمْتُ لا أَنْساك ما لاحَ كَوْكَبٌ ∴ وما اهْتَزَّ أَغْصانُ العِضاهِ بأَسْوَقِ[٤]

ومن معنى الإيذاء قولهم : عَضِه البعيرُ عَضْهًا ، فهو عَضِهٌ وعاضه ، إذا اشتكى من أكل العِضاه [٥]، قال الشاعر :

وقَرَّبُوا كُلَّ جُمالِيٍّ عَضِهْ

قَريبةٌ نُدُوثُهُ مِنْ مَحْمَضِهْ [٦].

والحيَّة العاضِه : التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ، والعضيهة الإفك والبهتان والقول الزور ، يقولون : يالَلْعضيهة ويالأفيكة

---

(١) ينظر العين [ع ض و] وفتح القدير للشوكاني ٣/٢٠٤ .
(٢) الصحاح [ع ض و] .
(٣) من البسيط وهو لقيس بن الحطيم في ديوانه ص ٢٩ ،والأعلام : الجبال.
(٤) البيت من الطويل وهو للشماخ ولم أجده بهذه الرواية في ديوانه ، وهو في إسفار الفصيح للهروي٢/٨٠٤ ولسان العرب [س و ق].
(٥) ينظر إسفار الفصيح ٢/٨٠٤ والمحكم وتاج العروس [ع ض ه].
(٦) البيتان لهميان بن قحافة السعدي من الرجز ، وهما في العين والصحاح [ع ض هـ] ، والمحمض : الموضع الذي ترعى فيه الإبل الحمض ، والنُّدوة : موضع شرب الخيل أو الإبل .

ويالليهيتة ، بكسر اللام وفتحها ، الكسر على معنى اعجبوا لهذه العضيهة ، والفتح لمعنى الاستغاثة ، يقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم [١]، وهو من الإيذاء غير المحس على سنن التطور الدلالي بالمجاز والاستعارة ، قال الشاعر :

* إنَّ العَضيهةَ ليسَت فِعلَ أحرار *[٢]

والعَضْه والعِضَه : الكذب وجمعه عِضُون ، يقال : عَضِه الرجل فلانًا عَضِهًا وعضيهةً : بَهَتَهُ وقال فيه ما لم يكن ، ومنه حديث عبادة بن الصامت (ﷺ) : " أخذ رسول الله (ﷺ) علينا في البيعة : لا يَعْضَهُ بَعْضُنا بَعْضًا "[٣] ، أي : لا يرميه بالعضيهة ، ومعناه : أن لا يقول فيه ما ليس فيه [٤].

والعِضَة والعضين في لغة قريش : السحر ، وهم يقولون للساحر عاضِهٌ [٥]، قال الشاعر :

أعوذ بربِّي مِن النَّافِثا ... تِ في عُقَدِ العاضِهِ المُعْضَهِ[٦]

---

(١) ينظر تهذيب اللغة والصحاح وأساس البلاغة [ع ض هـ] .
(٢) شطر بيت من البسيط لم أقف على قائله وهو في تفسير النكت والعيون للماوردي ١٧٣/٣ .
(٣) صحيح مسلم ٣٣٣/١٤ ومسند أحمد ٣٢٠/٥ .
(٤) ينظر غريب الحديث للحربي٩٣٢/٣ والصحاح وأساس البلاغة ولسان العرب لابن منظور [ع ض هـ] .
(٥)الصحاح [ع ض هـ] .
(٦) البيت من المتقارب ولم أقف على قائله وهو في العين وتهذيب اللغة[ع ض هـ]

ومنه الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : " لعن رسول الله (ﷺ) العاضِهَةَ والمُسْتعْضِهةَ " ، وفسره : الساحرة والمستسحِرة [١].

وإنما سمي السِّحر عِضْهًا ؛ لأنه كذب وتخيل لا حقيقة له [٢]، أو لأنه يؤذي المسحور كما قال (تعالى) : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [٣]. والعرب تقول : بينهم عضيهة قبيحة ، أي : قالة فرقت بينهم [٤]، وفي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي (ﷺ):"أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِالْعَضْهِ ؟الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْفَارِقَةُ بين الناس"[٥].

كل هذا مأخوذ من معنى الأذية . إذن فكلمة " عضة " وإن اتحدت في صورة اللفظ بعد التصريف – إلا أنها اختلفت من حيث التأصيل الدلالي والاشتقاق ، فالعضة بمعنى التفرقة مشتقة من الأصل اللغوي [ع ض و] ، وهي بمعنى الإيذاء مأخوذة من الأصل [ع ض هـ] ، فاللفظ حينئذٍ من المشترك اللفظي ، أو مما اتحد لفظه واختلف معناه .

دلالة اللفظ في التفسير :

وعلى المعنيين السابقين في اللغة جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾، فقد روي عن سعيد بن جبير ،

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١٤١/٣ والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير [ع ض هـ] وكنز العمال للمتقي الهندي ٦٠٤/١٦ .
(٢) تاج العروس [ع ض هـ] .
(٣) البقرة من الآية [١٠٢] .
(٤) ينظر مشكل الآثار للطحاوي٣٦٣/٥ وتاج العروس[ع ض هـ].
(٥) مسند أبي يعلى ٣٤٥/٩ ومشكل الآثار ٣٦٢/٥ .

والضحاك عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : هم أهل الكتاب ، جزَّؤوا القرآن أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وذلك قولهم : ما وافق منه كتابنا فهو صدق ، وما خالف كتابنا فهو كذب [١]، فتكون جملة : " الذين جعلوا القرآن عضين " صفة للمقتسمين [٢]، وهذا التفسير هو المأثور عن النبي (ﷺ) ، فقد أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : سأل رجل النبي (ﷺ) قال : أرأيت قول الله (عز وجل) ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ ، من المقتسمين ؟ قال : "اليهود والنصارى " ، قال : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ ، قال : " آمنوا ببعض وكفروا ببعض"[٣].

وقيل : المقصود من الذين جعلوا القرآن عضين هم كفار قريش فرقوا القول فيه ، فجعلوه كذبًا وسحرًا وكهانة وشعرًا ، وهو قول عطاء [٤]، فتكون جملة (الذين جعلوا القرآن عضين) في محل نصب بـ " النذير " ، أي : أنذر المعضين الذين يجزّؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين [٥].

فيكون التفسير في القولين جاء على الدلالة الأولى ، وأن عضة من الإعضاء بمعنى التفرق .

---

(١) ينظر جامع البيان ١٧/ ١٤٥ والكشاف للزمخشري ٢/٥٥٠ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤/٥ .
(٢) ينظر إعراب القرآن لابن سيده ٦/١١٦ .
(٣) المعجم الأوسط ٦/٢٠٧ .
(٤) ينظر جامع البيان ١٧/١٤٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٥٩ والنكت والعيون ٣/١٧٣.
(٥) ينظر إعراب القرآن ٦/١١٦ والكشاف ٢/٥٥٠ .

وقيل : إن المراد من قوله (عضين) أن المشركين سموا القرآن سحرًا خاصة دون غيره من معاني الذم على الدلالة المعروفة في لغة قريش، وهو المروي عن عكرمة ومجاهد [١]، فيكون التفسير موافقًا للدلالة الثانية في اللغة والعضين من العضيهة .

فكأن الآية الكريمة بيَّنت موقف المشركين الرافض للقرآن بمحض العداوة والافتراء ، فصورت عن طريق الحديث أن المقتسمين هم المشركون من أهل الكتاب [اليهود والنصارى] ، وبينت عن طريق القرآن أنهم كفار قريش في كثير من الآيات ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]، وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [٣]، وقوله: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)[٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

جـ طوبى :

في تفسير قول الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [٥]، قال عبد الله : " طوبى لهم : نعم ما لهم وقال المفسرون : طوبى لهم شجرة في الجنة ، وطوبى لهم خير لهم " [٦].

---

(١) ينظر جامع البيان ١٤٨/١٧ .
(٢) الحاقة [٤١ ، ٤٢] .
(٣) النحل [٢٤] .
(٤) المدثر ٢٣، ٢٤ .
(٥) الرعد الآية [٢٩] .
(٦) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٨ .

فقد ذكر للفظ ثلاثة معانٍ ، الأول منها والثاني يعدّ تفسيرًا عامًا ولعله يقصد به بيان معنى الكلمة في اللغة ، ويجعل المعنى الثاني خاصًا باسم شجرة في الجنة ، وينسبه للمفسرين ، وهو التفسير المأثور عن رسول الله (ﷺ) ، فقد روي عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال له رجل : يا رسول الله ما طوبى ؟! قال (شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْهَا)[١].

دلالة اللفظ في اللغة :

تدل مادة [ط ي ب] في اللغة على الشيء الحسن ، الذي تستريح له النفس وتطمئن إليه ، وهو ضد الخبيث [٢]، قال الراغب الأصفهاني: " أصل الطيب ما تستلذه الحواس وتستحسنه النفس "[٣]، يقال طاب الشيء طِيبًا وطابًا : لذّ وزكا ، وأطاب فلان الشيء واستطابه : وجده طيّبًا ، والعرب تقول : أطعمنا من مطايب الجزور وأطايبه ، وهو نحو كبده وسنامه ، وهذا شراب مَطْيَبة للنفس ، أي تطيب النفوس إذا شربته، واستطبناهم : سألناهم ماءً عذْبًا[٤] .قال الشاعر :

نحنُ آجَدنا دُونها الصِّرابا

إنّا وَجَدنا ماءها طيّابا [٥].

---

(١) صحيح بن حبان ١٦/ ٤٢٩ وكنز العمال ٥٣٥/١١ .
(٢) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس [ط ي ب] .
(٣) المفردات ص٣٠٩ .
(٤) ينظر الصحاح والمحكم والأساس [ط ي ب] .
(٥) من الرجز وهو في الصحاح واللسان [ط ي ب] .

ويقولون – أيضًا : ذهب من فلان الأطيبان ، أي الأكل والنكاح أو الشباب والنكاح [١]، كل ذلك مما يستلذ ويستطاب لدى النفس . قال نهشل بن جزيّ :

إذا فاتَ مِنكَ الأطيبانِ فَلا تُبَلْ ∴ مَتى جاءَكَ اليومُ الَّذي كُنتَ تَحذَرُ[٢]

وفي قول الله (تعالى) : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [٣]، قال ثعلب : هو الحسَن ، وكذلك قوله :﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[٤]، إنما هو الكلم الحسن – أيضًا – كالدعاء ونحوه [٥].

هذه هي الدلالة الأصلية في لغة العرب، ولعلها من موروث الأصل السامي في اللغة ، إذ تشترك معها في دلالة هذا اللفظ على معنى الحسن بعض اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسريانية والحبشية وغيرها ، فالفعل " طاب " taba بمعنى " حَسُن " يقابله في اللغة العبرية : yatab وفي آرمية العهد القديم : ytab ، وفي السريانية : teb ، وفي الآشورية : tabu ، والصفة " طيِّب " بمعنى " جيِّد " تقابل في العبرية tob ، وفي السريانية taba بمعنى طيب / جيد [٦].

---

(١) ينظر جمهرة اللغة لابن دريد ١ /١٠٢ وتهذيب [ط ي ب] .
(٢) البيت من الطويل ، وهو في مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٨١ وأساس البلاغة [ط ي ب] ..
(٣) الحج من الآية [٢٤] .
(٤) فاطر من الآية [١٠] .
(٥) المحكم والمحيط الأعظم [ط ي ب] .
(٦) معجم المشترك السامي في اللغة العربية د/ حازم على كمال الدين ص ٢٦٣ .

وكلمة " طوبى " في قول العرب : " طوبى لك " فُعْلى من الطيب – أيضًا – وكانت في الأصل : طُيْبى ؛ فقلبت اليـاء واوًا لانضـمام الطاء قبلها ، ومعناها : الحسـنى أو الخير والنعمة والعيش الطيـب لك [١]، قال الشاعر :

طُوبَى لَمَنْ يَسْتَبْدِلُ الطَّوْدَ بِالثَّرَى ∴ وَرِسْلاً بِيَقْطِينِ العِرَاقِ وَفُومِهَا[٢]

ومن ذلك الحديث : (طُوبَى لِلشَّامِ ، قِيلَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا)[٣] .

وهو من الدلالة الأصلية للفظ " طيب " في اللغة .

إلا أن اللفظ اكتسب معانى أخرى بفعـل التطـور أو التغيـر الثقافي والديني في المجتمع العربي، فاستعمل في لازم معناه ، أو في الدلالة اللزومية ، فكني به عن الشرف ورفعة النسب ، قال ابن سيده : " بيت طيَّب يُكْنى به عن شرفه وصلاحه وطيب أعراقه، وفي حديث طاووس أنه أشرف على علي بن الحسين (رضي الله عنهما) ساجدًا في الحجر فقال : " رجلٌ صالحٌ مِنْ بَيْتٍ طَيِّب " [٤].

واكتسب من ظهور الإسلام الدلالة الشرعية ، فاستعمل الطيب في معنى الحلال ؛ لعلاقة المجـاز ؛ لأن الحـلال تسـتطيبه الـنفس

---

(١) ينظر المحكم وتاج العروس [ط ي ب] .
(٢) البيت من الكامل ، وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٣٨٩/١ واللسان [ط ي ب] ، والرِّسل : اللبن ، والطود : الجبل ، واليقطين : القرع ، والفوم : الخبز والحنطة .
(٣) من رواية زيد بن ثابـت (ﷺ) فـي سـنن الترمـذي ٧٣٤/٥ والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٤٩/٢ .
(٤) المحكم [ط ي ب] .

وتطمئن إليه، فالطَّيِّب والطِّيَبَة: الحلال، وكل مأكول حلال مستطاب، وأطاب فلان : تزوج حلالاً ، والطيبات : الغنائم يقولون : هذا سبي طِيَبَة أي طيب حلّ ليس من غدر ونقض عهد ، وهو سبي من تجوز حربه من أهل الكفر[١] ، كل هذا من الدلالة الشرعية ، قال الراغب الأصفهاني : " الطعام الطيِّب في الشرع : ما كان متناولاً من حيث ما يجوز ، وبقدر ما يجوز ، ومن المكان الذي يجوز ؛ فإنه متى كان كذلك كان طيبًا عاجلاً وآجلاً لايستوخم ، وإلا فإنه – وإن كان طيِّبًا عاجلاً لم يطب آجلاً ، وعلى ذلك قوله (تعالى) : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [٢]، ... والطيب من الإنسان ما تعرّى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال ، وإياهم قصد بقوله:﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[٣]...﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾[٤]، أي :طاهرة ذكية مستلذة ..."[٥].

وعلى هذه الدلالة جاء بيت الشعر :

لَمَا ضَمَّنَّ الأَحْشَاءُ منك عَلاقَةً ** ولَا زُرْتَنَا إلّا وأَنْتَ مُطِيبُ [٦].

وهذا قالته امرأة لخدنها تصفه بالعفة ؛ ولذلك قالت :

..... ** **ولا زُرْتَنَا إلّا وأَنْتَ مُطِيب** .

---

(١) ينظر تهذيب اللغة والمحكم وأساس البلاغة [ط ي ب] .
(٢) البقرة من الآية [١٧٢] .
(٣) النحل من الآية [٣٢] .
(٤) التوبة من الآية [٧٢] .
(٥) المفردات ص ٣٠٩ .
(٦) البيت من الطويل ، وهو في تهذيب اللغة واللسان [ط ي ب] ، والعلاقة : الحب اللازم للقلب ، والأحشاء : جمع الحشا ، وهو ما بين آخر الأضلاع إلى الورك ، كالكبد والطحال وغيرهما .

أَي متَزوج . وقيل: أرادت وصف لذة الوصال معه ، والحــرَام عند العُشَّاق أَطيبُ [١]،فيكون لفظ " مطيب " جاء على الدلالة الأصلية.

فلا تضاد إذن بين لفظ " المطيب " بمعنى المستلذّ ، وإن كــان حرامًا – كما جاء في بيت الشعر على القول الثاني – وبين " الطيبات " في قوله (تعالى) (كلوا من طيبات ما رزقناكم) فالأول جاء على الدلالة الأصلية ، والثاني جاء على الدلالــة الشــرعية أو المفهــوم الشرعي .

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التفسير في بيان قوله (تعالى) : (طوبى لهم) ، وورد عنهم فيها عدة أقوال :

أحدها : معنى طوبى لهم : فرح لهم وقرة عين ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه : نعم ما لهم ، قاله عكرمة .

الثالث : معناه : حسنى لهم ، قاله قتادة .

الرابع : معناه : خير لهم ، قاله إبراهيم النخعي .

الخامس : معناه : غبطة لهم ، قاله الضحاك [٢].

وهذه الأقوال على اختلافها متقاربة في المعنى ، فتكــون قــد جاءت على الدلالة الأصلية للفظ في اللغة ، وهو أن " طوبى " مشتقة

---

(١) ينظر تهذيب اللغة [ط ا ب] .
(٢) ينظر جامع البيان ١٦ / ٤٣٢ وتفسير الفخر الــرازي ١٩/ ٤٧ والنكت والعيون ٣/ ١١١ .

من الطيب ، أي أنها داخلة في معنى ما تستطيبه النفس وتستلذه الحواس[١] .

وللفظ تفسيرات أخرى في هذه الآية – أيضًا ،

أحدها : أن طوبى اسم شجرة في الجنة ، قاله مجاهد وهو المروي عن رسول الله (ﷺ) – كما تقدم .

الثاني : أن طوبى اسم الجنة باللغة الحبشية ، وهو قول ابن عباس من رواية سعيد بن جبير .

الثالث : أنها اسم الجنة بالهندية ، وهو قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن مشجوع .

وقال الربيع بن أنس : هي البستان بلغة الهند [٢]. فتكون الكلمة قد جاءت على الدلالة الأصلية أيضًا – وأنها مما وافقت فيه لغةُ العرب اللغات القديمة الأخرى السامية منها كالحبشية ، أو غير السامية كالهندية عن طريق التأثر بالتجارة والاتصال الحضاري قديمًا[٣].

ويلحظ أن ابن اليزيدي قد اكتفى في تأويل هذه الكلمة بالتفسيرات الثلاثة السابقة ؛ للاختصار ولأن جميع الأقوال المأثورة داخلة في الدلالة الأصلية للكلمة في اللغة .

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢١٦ .
(٢) ينظر جامع البيان ١٦/ ٤٣٢ والكشف والبيان للثعلبي ٥/ ٢٨٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٣١٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/٩ والنكت والعيون ١١١/٣ .
(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٦ .

المبحث الثاني

الدلالة المجازية

هي انتقال اللفظ من معناه الأصلي الموضوع له في اللغة إلى معنى أخر غيره ؛ لعلاقة أو مناسبة بين المعنيين [١].

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في استعمال اللفظ في المعنى الأصلي له والمعنى المنقول إليه مجازًا : "وذاك أن العادةَ قد جرتْ بأن يقالَ في الفرق بين الحقيقة والمجاز : إنَّ الحقيقةَ أن يُقَرَّ اللفظُ على أصْلِهِ في اللغةِ ، والمجازَ أن يُزالَ عن موضِعه ويستعملَ في غيرِ ما وضِعَ له فيقالَ : أسدٌ ويرادَ شجاعٌ ... فالتجوُّزُ في أن ادَّعيتَ للرجل أنه في معنى الأسدِ ، وأنه كأنه هو في قوة قلبه وشدةِ بطشه وفي أنَّ الخوفَ لا يخامرُه والذُّعْرَ لا يعرضُ له "[٢] .

والعلاقة بين المعنيين إن كانت المشابهة سمي المعنى المنقول إليه مجازاً بالاستعارة ، وإن كانت غير المشابهة ، بأن كانت السببية أو المسببية ، أو الزمانية أو غير ذلك من باقي أنواعها سمى المجاز مجازاً مرسلاً [٣] .

---

(١) ينظر المثل السائر لابن الأثير ٧٤/١ .ومعالم الدلالة اللغوية د/إبراهيم عبدالله الغامدي ص ١١٩.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٧٦/١ .

(٣) ينظر العربية خصائصها وسماتها د/ عبد الغفار حامد هلال ص٣٣٤ .

غير أن مقام البحث لا يقتضي التطويل – هنا – في تقسيم العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، كما لا يتعرض أيضا للناحية البيانية أو البلاغية ، التي تكمن في المجاز دون الحقيقة ، فهذه أو تلك أولى بها مجال النقد البلاغي أو الأدبي ، وإنما يتناول المجاز أو الانتقال على أنه مظهر من مظاهر التطور الدلالي في اللغة لجأ إليه العربي – قديمًا – عندما عزّت عليه الألفاظ التي يمكن أن تعبر عن المعنى المراد تعبيرًا حقيقًيا بالأصالة أو عندما توجد الألفاظ الحقيقية ، ويريد المتكلم أن يتوسع في التعبير بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بهدف دلالي ، كإخراج المعنوي في صورة المحسّ لتمكينه في ذهن المخاطب أو توضيحه [١].

فالعربي عندما لم تسعفه ألفاظ لغته في إيجاد مسمى للماء داخل البئر استعار له لفظ " العين " ، فقال : عين البئر ونقلها من استعمالها الحقيقي في عين الإنسان أو غيره من الحيوان إلى ماء البئر ؛ لعلاقة المشابهة ، وجاء القرآن الكريم فاشتق منها لفظ معين في قوله (تعالى) : ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [٢]، وعندما أراد الاتساع وإخراج المعنوي المجرد في صورة المحس استعمل لفظ الذروة لعلو الشرف والمجد والنسب ، وهي في الأصل للشيء المرتفع المحس من جبل أو سنام أو غيره . ومن ذلك مجيء الصراط في القرآن بمعنى الإسلام ، وهو في أصل الاستعمال اللغوي

---

(١) ينظر دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها د/ عيد محمد الطيب ص١٢٨ ، ١٤٦ .

(٢) الملك الآية [٣٠] وينظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٥ .

للطريق الواضح كما في قوله (تعالى): ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١]،

هذا وقد جاءت ألفاظ من القرآن الكريم على الدلالة المجازية دون غيرها من الدلالات الأخرى ، لوحظ ذلك من خلال ربط المعنى اللغوي للفظ بمفهومه التفسيري عبر مراحل الاستعمال اللغوي من ذلك :

أ – " **السائح** "

كما في قوله (تعالى) : ﴿ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ ﴾ [٢]، قال أبو عبد الرحمن اليزيدي : " السائحون في التفسير : الصائمون " [٣].

فقد أورد معنى الكلمة في التفسير، ولم يبين معناها في اللغة، وما ذكره في التفسير هو المعنى المأثور عن رسول الله (ﷺ) في رواية أبي هريرة : (السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ) [٤]، وفي رواية أخرى : (سياحة أمتي لصيام)[٥] .

دلالة اللفظ في اللغة :

---

(١) الشورى [٥٢] وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٥٨٢/٦ .
(٢) التوبة من الآية [١١٢] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٧٦ .
(٤) ينظر الجامع الصغير للسيوطي ٤٩٢/١ وكنز العمال ٧/٢ .
(٥) ينظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٢٤١/١ والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير [س ي ح] .

تدل مادة [س ي ح] في كلام العرب – بحسب الوضع الأصلي – على معنى الانسياب والانتشار ، من ذلك الساحة : فضاء بين دُوَرِ الحيّ ، والجمع سُوحٌ وساحات ، وتصغيرها سُوَيحة ، والسَّيْحُ : الماء الظاهر على وجه الأرض جريًا ، وجمعه سيوح وأسياح

وهو في الأصل : مصدر ساح الماء يسيح سيحًا إذا : جرى على وجه الأرض ،[١]، قال الفرزدق :

وَكَمْ لِلْمُسْلِمِينَ أَسَحَّتْ يَجْرِي ∴ بِإِذْنِ اللهِ مِنْ نَهْرٍ وَنَهْرِ [٢]

ثم سمي الماء بالمصدر فقيل: ماءُ سَيْح [٣]، قال الثعالبي (ت٤٣٠)هـ : " إذا كان [الماء] على ظهر الأرض يَسْقي بغير آلة من دالية أو دولاب أو ناعورة أو منجنون ، فهو سَيْح " [٤]، ومنه حديث الزكاة: (ما سُقى بالسَّيْح فَفيه العُشْر)[٥]، أي بالماء الجاري ، وسَيْح : ماء لبني حسان بن عوف ، وفيه يقول الشاعر :

* يا حبَّذا سيحٌ إذا الصَّيفُ التهبْ * [٦]

---

(١) ينظر العين ومقاييس اللغة [س ي ح] .
(٢) البيت من الوافر وهو في ديوانه ص٢٩٤ وتهذيب اللغة[س ا ح].
(٣) ينظر العين [س ي ح] وجمهرة اللغة ٢٧٥/١ .
(٤) فقه اللغة ص ١٣٢.
(٥) من رواية أنس بن مالك (ﷺ) كما في النهاية [س ي ح] وكنز العمال ٥٥٩/٦ .
(٦) البيت لذي الرمة من الرجز ، وهو في ديوانه ص٣٠٢ والصحاح [س ي ح]

ومن ذلك قيل على سبيل المجاز بالاستعارة : رجل سائح : إذا كان يسيح في البلاد لا يستقرّ [١]، وفي الحديث : (لاَ سِـيَاحَةَ فـي الإسْلاَمِ) [٢]، يريد مفارقة الأمصار والـذهاب فـي الأرض للعبـادة والترهب ، كفعل يحيى بن زكريا (عليهما السلام) حين ساح ولـزم أطراف الأرض ، وفعل غيره من عبّاد يبني إسـرائيل ، أراد (ﷺ) أن الله (جل وعز) وضع هذا عن المسلمين وبعثه بالحنيفية السمحة[٣].

وانساح بال فلان : اتسع ومنه قول الشاعر :

أمنّي ضميرَ النّفسِ إيّاكِ بعدما ∴ يُرَاجِعُنِي بَثّي فَيَنْسَاحُ بَالُهَا [٤]

وهو من الانتقال المجازي من المحس إلى المعنوي ؛ لعلاقـة المشابهة – أيضًا .

ثم جدّ للكلمة استعمال آخر في اللغة ؛ فدلت على الصوم مجازًا لعلاقة المشابهة – أيضًا ، فقيل للصوم سياحة وللصائم سائح ، قـال أبو طالب :

وبالسـائحين لا يَـذُوقون قَطـرَةً ∴ لـرَبِّهِمُ والراتِكـاتِ العوامـل [٥]

وقال غيره :

بَـرًّا يُصَـلّي لَيلَـهُ ونَهـارَهُ ∴ يَظَـلُّ كَـثيرَ الـذّكر لله سـائِحًا [٦]

---

(١) ينظر جمهرة اللغة ٢٧٥/١ وأساس البلاغة [س ي ح] .
(٢) السنن الكبرى للبيهقي ١٥١/١ .
(٣) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة ٤٤٦/١ وتهذيب اللغة[س ا ح].
(٤) البيت لذي الرمة من الطويل وهو في ديوانه ص٢٤٠ والصحاح [س ي ح] ، والبث : الحزن الشديد الذي لا يُصبر عليه .
(٥) البيت من الطويل وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٥/١ وأساس البلاغة [س ي ح] .، والراتكات : المسرعات .
(٦) البيت من البسيط ولم أقف على قائله ، وهو في الكشف والبيـان للثعلبي٩٨/٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٠/٨ .

وإنما قيل للصائم : سائح ؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبدًا ولا زاد معه ، إنما يطعم إذا وجد الزَّاد ، والصائم لا يطعم – أيضًا ؛ فلشبهه به سُمِّي سائحًا [١].

دلالة اللفظ في التفسير :

وعلى الدلالة المجازية جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ﴾ وقوله : ﴿ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [٢]، فقد جاء ذلك مفسرًا في الحديث : (السائحون هم الصائمون) كما تقدم وسئل سعيد بن جبير عن السائحين في القرآن ، فقال : " هم الصائمون ، ألم تر أن الله (عز وجلّ) إذا ذكر الصائمين لم يذكر السائحين ، وإذا ذكر السائحين لم يذكر الصائمين "[٣].

هذا ودلالة السياحة على الصوم لا تتوقف على الدلالة الشرعية لمعنى الصوم ، وهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج ، بل إن التجوز في الاستعمال ينصبُّ على المعنى اللغوي وهو مطلق الإمساك ، فكل من أمسك أو كفّ عن المعاصي سمي سائحًا ، قال الراغب الأصفهاني " إن الصوم ضربان : حقيقي ، وهو ترك المطعم والمنكح ، وصوم حكمي ، وهو حفظ الجوارح عن المعاصي ،

---

(١) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [س ي ح] .
(٢) التحريم من الآية [٥] .
(٣) الكشف والبيان ٩٨/٥ .

كالسمع والبصر واللسان ، فالسائح هو الذي يصوم هـذا الصـوم دون الأول " [١].

بـ- النجدين :

قال ابن اليزيدي في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [٢] : " النجدين : الطريقين في ارتفاع ، نجدُ الخير ونجد الشرِّ ، وبعض المفسرين يقول : النجدان : الثديان " [٣].

فهو يذكر المعنى الأصلي للفظ النجد في اللغة ، وهو الطريق في ارتفاع ، ثم يبين المراد من النجدين في الآية ، وما ذكره من أن النجدين هما طريقي الخير والشرّ هو المروي عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يقول : (" يا أيُّها النَّاس ، إنَّما هُمَا النَّجدانِ : نَجْدُ الخيرِ ، ونجدُ الشَّرِّ ، فلمَ تَجْعَلُ نَجْدَ الشرِّ أحبَّ إليْكَ من نَجْدِ الخَيْرِ؟ " [٤].

وما أورده من أن النجدين هما الثديان ، فهو المأثور عن على وابن عباس وعكرمة (رضي الله عنهم) ، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك – أيضًا[٥] .

دلالة اللفظ في اللغة :

---

(١) المفردات ص ٢٤٦ .
(٢) البلد الآية [١٠] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٠٥ .
(٤) رواه أبو أمامة (رضي الله عنه) ، وهو في المعجم الأوسط للطبراني ٧٧/٣ .ومجمع الزوائد للهيثمي ٤٤٩/١٠
(٥) ينظر جامع البيان ٤٣٩/٢٤ والكشف والبيان٢٠٩/١٠ والجامع لأحكام القرآن ٦٧٥/٢٠ واللباب في علوم الكتاب للدمشقي٣٤٥/٢٠ .

النجد في اللغة : ما ارتفع من الأرض وأشرف منها ، والجمع : نِجاد ونُجُود وأنْجُد ، يقال : اعل هاتيك النِّجاد ، وهي الصعائد ، وكل صعود نجد [١]، ونجد إقليم معروف يتوسط شبه الجزيرة العربية ، يتصل بالحجاز غربًا وباليمن جنوبًا وبإقليم الإحساء شرقًا وببادية العرب شمالاً ، سمي نجدًا لما به من الآكام والمرتفعات ، أو لعلوه عن انخفاض تهامة [٢]، يقال : أنجد القوم : إذا صاروا ببلاد نجد[٣] وفيه يقول الشاعر :

ذَرَانِيَ مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ ∴ لَعِبْنَ بِنَا شِيباً وشَيَّبْنَنَا مُرْدَا [٤]

وأنجدَ : صعد النجود ، قال الأعشى :

نَبِيٌ يَرى مَالا تَرونَ، وذكرهُ ∴ أغَارَ لَعَمْرِي، في البِلادِ وَأنجَدَا[٥]

ومن ذلك قيل للطريق يأخذ بين نشوز الأرض [مرتفعاتها] : نَجْد ، قال الشاعر :

فَإنّي زَعِيمٌ أن أقُول قَصِيدَةً ∴ مُبينَةً كالنَّجْدِ بين المخارم [١]

---

(١) ينظر الجيم ٣/٢٦٣- ٢٧١ وجمهرة اللغة ١/٢٢٠ والصحاح [ن ج د] .

(٢) ينظر جمهرة اللغة ١/٢٢٠ والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية مجهول المؤلف ص ٤٣٢ وخصائص جزيرة العرب لبكر بن عبد الله أبو زيد ص ٧، وتهامة إقليم بالحجاز يقال لها : الغور وغور تهامة – أيضًا .

(٣) العين [ن ج د] .

(٤) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله ، وهو في المحكم [س ن هـ] واللسان [ن ج د] ، وقوله : شيبننا مردًا : أي صغارًا قبل أوان الشيب .

(٥) البيت من الطويل في ديوانه ص٤٦ وجمهرة اللغة ٢/١٠٠ ، وقوله أغار : أي قصد الغور ، وهو المنخفض ضد أنجد .

وقال الآخر :

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ قَاطِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ∴ وآخَرُ مِنْهُمْ جَازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ [٢]

هذه هي الدلالة الأصلية لمادة [ن ج د]في اللغة ، ثم توسع العرب في مدلول الكلمة عن طريق الانتقال بالمجاز ، فقيل لكل ما علا أو أشرف : نجدٌ محسًّا كان أو معنويًا ، فالنجد : العنق لارتفاعها ، والنَّجُود من الإبل : التي لا تبرك إلا على مرتفع من الأرض ، والنِّجَاد : حمائل السيف ؛ لأنه يعلو العاتق ، أو لأنه يجاور الموضع العالي من الجسد [٣].

ومن الانتقال من المحس إلى المعنوي قولهم : فلان طلَّاع أنجد وطلاع الثنايا ، إذا كان ساميًا لمعالي الأمور [٤]، قال حميد بن شحاذ الضبي :

فَقَدْ يَقْصُرُ الفَقْرُ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ ∴ وقَدْ كَانَ لَوْلاَ الثُّلُّ طَلَّاعَ أَنْجُدِ [٥]

وقال غيره :

يَغْدُو أَمَامَهُمُ فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ ∴ طَلَّاعِ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمُ [١]

---

(١) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله كما لم أجده في غير معجم الجيم ٢٧٤/٣ ، والمخرم والرعن والربع مرادفات للنشز ، وهي المرتفعات من الأرض .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٧٤ وتاج العروس [ن ج د] ، وجازع : من جزع المفازة : اجتازها أو قطعها عرضًا ، وكبكب : اسم جبل .

(٣) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [ن ج د] واللباب في علوم الكتاب ٣٤٥/٢٠ .

(٤) الصحاح [ن ج د] .

(٥) البيت من الطويل ، هو في الصحاح والمحكم [ن ج د] ، والثل : الفقر .

ومن ذلك : أمر نجد ، أي واضح ، يقال : نَجَدَ الأمر ينجُد نجُودًا استبان ووضح ، فهو ناجد [٢]، لما فيه من معنى الإشراف والظهور قال سفيان بن الحارث :

صَحا قَلبي وخافَ اليَومَ غُولا ∴ وكانَ آلَدَّ مُعتَبِساً جَهولا
وكُنتُ أرى سَبيلَ الرُّشدِ صَعبًا ∴ ونَجدَ الغَيِّ مَوردَهُ ذَلولا [٣]

قوله : نجد الغي ، أي طريق الغي، وهو – ولا شك – طريق معنوي ، لذا قال الشاطبي (ت٧١٠هـ) : " ... والعرب تطلق الهدى حقيقة في الظاهر المحسوس ، فتقول : هديته الطريق وهديته إلى الطريق ، ومنه نقل إلى طريق الخير والشر ... فهو حقيقة في الطريق المحسوس مجازًا في الطريق المعنوي " [٤].

دلالة اللفظ في التفسير :

على قول بعض المفسرين بأن النجدين – في هذه الآية – هما الثديان ، تكون دلالة اللفظ على الارتفاع من قبيل الانتقال المجازي من المحس إلى محس آخر مثله ؛ لأن الثديين كالطريقين لحياة الولد

---

(١) البيت لزياد بن حمل بن سعد بن حريث من البسيط ، وهو في ديوان الحماسة لأبي تمام ١٦١/٢ والصحاح والمحكم [ن ج د] ، والمربأة : المرقبة ، والأنجدة : جمع نجد ، والكشح : الخصر ، والهضم : دقة الخصر ، يصفه بوصف محمود عند العرب وهو النحافة .

(٢) ينظر العين [ن ج د] .

(٣) البيتان من الوافر ، وهما في الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٩٠، وصحا : أفاق ، وزلولاً : منقادًا وهو ضد الصعب .

(٤) الاعتصام ١٠٣/١.

ورزقه [١]، ولارتفاعهما فوق الصدر ، ومن أجل ذلك سمي الثدي نجدًا ، قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) : " ... والنجد : الثدي ، والبطن تحته كالغور .. " [٢]، وعلى هذا التفسير يكون لفظ " النجدين " مجرورًا بحرف جر محذوف تقديره : وهديناه إلى النجدين ، أي إلى الثديين [٣].

وعلى تأويل النجدين بأنهما طريقي الخير والشرِّ ، تكون الدلالة على الارتفاع من الانتقال من المحس إلى المعنوي ، والمعنى : بينا له طريقي الخير والشر ، والحق والباطل ، والهدى والضلالة ، فكأنه لما وهمت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول ، كوضوح الطريق العالية المرتفعة للأبصار ، وعلى هذا التفسير يكون لفظ " النجدين " منتصبًا على الظرفية ، أي : بينا أو وضحنا له النجدين [٤]، إذن فالدلالة اللغوية أعمّ ؛ لشمولها المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معًا ، والدلالة التفسيرية أخص لاقتصارها على المعنى المجازي في القولين .

ج- الهَمْزَة :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٢٠/٦٧٥ .
(٢) تاج العروس] ن ج د] .
(٣) ينظر الدر المصون للسمين الحلبي ١/٥٧ واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٣٤٥ .
(٤) ينظر الكشف والبيان للثعلبي ١/٢٠٩ ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ١/٤٧٥٤ والدر المصون ١/٥٨١٧ واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٣٤٥ .

في قول الله (تعالى) : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[١] قال المفسِّر في همزات : " واحدها هَمْزَة ، والهمز واللمز والغمز : الطعن على الرجل ، وقال المفسرون : الهمزُ المُوتة التي تأخذ الإنسان " [٢]، فأبو عبد الرحمن يبين معنى اللفظ في اللغة بذكر مرادفه ، ثم يذكر أن اللفظ قد نقل عند المفسرين للدلالة على معنى آخر غير المعنى اللغوي ، إذ يراد به الموتة – بضم الميم غير مهموزة – من قولهم : أخذت فلانًا الموتةُ ، وهي ضرب من الجنون وأن يغشى عليه حتى كأنه يقارب الموت من الغشي ، وجمعها : مُوَت – كالظلم [٣].

وما أورده عن المفسرين هو المروي عن رسول الله(ﷺ) أنه كان إذا استفتح القراءة في الصلاة قال : (أَعوذُ باللهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ) ، فقيل : يا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَمْزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ ؟ قَالَ : (أَمَّا هَمْزُهُ فَالْمُوتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ ابْنَ آدَمَ ، وَأَمَّا نَفْثُهُ فالشِّعْرُ ، وَأَمَّا نَفْخُهُ فالْكِبْرُ) [٤].

دلالة اللفظ في اللغة :

الدلالة الأصلية لمادة [هـ م ز] في اللغة هي : الدفع والضغط ، تقول العرب : همزت فلانًا ولمزته ولهزته ونهزته : إذا دفعته ، وقوس هَمَزى : شديدة الدفع للسهم ، قال أبو النجم :

---

(١) المؤمنون [٩٧] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١٢٦.
(٣) إسفار الفصيح للهروي ٢ /٧٢٣ .
(٤) سنن أبي داود ٢٧٩/١ ومسند أحمد بن حنبل ٨٠/٤ والسنن الكبرى للبيهقي ١٤٦/١ .

أنحَى شِمالاً هَمْزَى نَضوحا

وهَتْفَى مُعطيةً طَروحا [١].

وهمزت رأسه وهمزت الجوزة بكفيَّ أَهْمِزُها هَمْزًا : ضغطها حتى تهشَّمت [٢]، قال الراجز :

ومنْ هَمَزْنا رأسَه تهشَّما[٣].

والمِهْمَز والمِهْماز : حديدة في مؤخر خُفِّ الرائض ، يُنخَسُ بها الشَمُوس من الخيل ؛ لتسرع جمعها مهامز ومهاميز[٤] ، قال الشماخ :

أقامَ الثّقافُ والطريدةُ دَرْأها ∴ كما قَوَّمتْ ضِغْنَ الشَّموسِ المَهامِزُ[٥]

---

(١) من الرجز وهما في ديوانه ص٦٨ وجمهرة اللغة ١٦٨/٢ ، يصف قوسًا ، والنضوح : الشديدة الدفع ، والهمزى : الشديدة – أيضًا ، والهتفى : الصوت القوي ، والطروح : التي تطرح السهم مطرحًا بعيدًا .

(٢) ينظر العين وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة [هـ م ز] .

(٣) من الرجز ، وهو لرؤبة في ديوانه ص ١٨٤ وتهذيب اللغة وتاج العروس [هـ م ز] .

(٤) ينظر تهذيب اللغة والقاموس المحيط للفيروزآبادي [هـ م ز] ، والشموس من الخيل : الذي يستعصي على راكبه ومروضه

(٥) من الطويل وهو في ديوانه ص ٤٨ وتهذيب اللغة والصحاح [هـ م ز] ، وأقام : أصلح ، والثقاف : ما تسوى به الرماح والقسي ، والطريدة : القصبة التي فيها حزة توضع على المعازل والعود فتُنحت عليها ، ودرؤها : ميلها ، وضغن الفرس : ضد رياضته .

ومنه الهَمْزُ في الكلام ؛ لأنّه يُضْغَط ، وقد همزت الحرف فانهمز وبه سميت الهمزة من الحروف ؛ لأنها تهمز ، أي تُهتُّ فتهمز عن مخرجها ، يقال : هو يَهِتُّ هتًّا ، إذا تكلم بالهمز [١].

ثم انتقلت الكلمة أو اللفظ للدلالة المجازية ، فقيل للمغتاب الذي يقع في أعراض الناس ويعيبهم : هُمَزَة ، كأنه ينخس من عابه ويطعن فيه [٢]، وكذلك تسمية الموتة همزًا ، فهي كالغمز [الضغط] أو النخس من الشيطان ، قال الأزهري : " فأما الموتة فهي شبه الجنون الذي يكون معه الصرع ، سمي همزًا ؛ لأنه جعل كالنخس والغمز من الشيطان ، وكل شيء دفعته فقد همزته ،والنخس : الدفع بعنف "[٣] .

دلالة اللفظ في التفسير :

للمفسرين في قوله (تعالى) : ﴿ همزات الشياطين ﴾ أقوال :

أحدها : عن ابن عباس همزاتهم : نزغاتهم [والنزغ هو الإغراء].

الثاني : وساوسهم عن الحسن .

الثالث : نفخهم ونفثهم عن مجاهد .

الرابع : همزات الشياطين : خنقهم للناس ، عن أبي زيد [٤].

---

(١) ينظر تهذيب للغة والصحاح [هـ م ز] .
(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٨٤/٤ والكشاف للزمخشري٨٠١/٤ .
(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص٩٦ .
(٤) الكشف والبيان ٧ /٥٥ .

الخامس : هي الموتة التي تأخذ ابن آدم ، وهو المأثور عن الرسول (ﷺ) – كما تقدم – وبه قال الحسن في أحد قوليه [١].

وهذه الأقوال في مجملها لا تخرج عن الدلالة المجازية ، فعلى الأقوال الثلاثة الأُوَل يكون الانتقال من الدلالة الأصلية [الحقيقية] إلى المجازية ، انتقال من المحس إلى المعنوي ؛ لعلاقة المشابهة . والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها ، كما تهمز الراضةُ الدوابَّ حثًا على المشي [٢].

قال الطاهر بن عاشور : " والهمز حقيقته : الضغط باليد والطعن بالإصبع ، ويستعمل مجازًا بمعنى الأذى بالقول أو بالإشارة [٣]، ومنه قوله (تعالى): ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[٤]، وقوله : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [٥]"

وعلى القولين الأخيرين يكون الانتقال من المحس إلى المحس للعلاقة نفسها ؛ لأن الأذى الذي يلحق بالمهموز ظاهر من غير أن يُرى الهامز .

---

(١) مفاتح الغيب ٣٢٥٦/١ .
(٢) الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٠٤.
(٣) التحرير والتنوير١٨ / ١٢٠
(٤) القلم [١١] .
(٥) الهمزة [١] .

المبحث الثالث

الدلالة العرفية

هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي [١]. أو هي : نقل اللفظة من معناها إلى غيره بحكم الاستعمال بحيث يغلب استعمال اللفظة في مدلولها الجديد ، ويكاد ينسى أو يقل استعمالها في مدلولها الأول [٢].

من هذا التعريف يتبين أن الدلالة العرفية وليدة المجتمع للغوي حيث ينقل فيها اللفظ من معناه إلى معنى آخر أقره الاستعمال ، في ظل الجماعة اللغوية وتعارف عليه أهل تلك الجماعة ، كما يفهم منه أيضًا – أن هذه الدلالة تعد المرحلة الثانية بعد المجاز في عملية التوسع الدلالي وتنوع المعنى ، فاللفظ ينتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أولاً ، ثم بعد أن يقره المجتمع ويكثر فيه استعماله ويفقد – بطول العهد مجازيته – يصبح المجاز من قبيل الحقيقة العرفية .

فالبرذعة – بالذال والدال – حِلْس [كساء رقيق على ظهر البعير] يجعل تحت الرحل أو الإكاف والجمع البراذع هذا هو الأصل

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٥٢/١ .

(٢) ينظر النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي د/ نعمان بوقرة ص٨٨ وعلم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د/ فريد عوض حيدر ص ٩٠.

وفي عرف زماننا هي للحمار ما يركب عليه بمنزلة السرج للفرس ، فانتقال البرذعة من الدلالة على الكساء الرقيق إلى الدلالة على ما يوضع فوقه ، وهو الإكاف أو السَّرْج نشأ أولاً عن طريق المجاز لعلاقة المجاورة ، ثم كثر استعماله حتى أصبح إطلاقه على الإكاف من قبيل المعنى العرفي لا اللغوي [١].

لذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فاللفظ قد يشيع استعماله في جيل من الأجيال للدلالة على أمر معين ، وكلما ذكر اللفظ خطرت نفس الدلالة في الأذهان دون غرابة أو دهشة ، وهو من أجل هذا مما يسمى بالحقيقة . فإذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر ، فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ إنه من المجاز ، وتلزمه تلك الغرابة أو الطرافة في الاستعمال زمنًا ما بعده قد يفقدها ، ويصبح من الألفة والذيوع بحيث تنسى مجازيته ويصير من الحقيقة "[٢] .

هذا وإذا اجتمع للفظة معنيان أصلي وعرفي ، وجب تقديم العرفي في الاستعمال ؛ لأنه المتبادر إلى الذهن ، والمشهور بين المتكلمين به .

قال بعض الفقهاء : " وَإِنَّمَا يُرَاعَى الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَلَامُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ ، فَإِنْ كَانَ كَلَامُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ وَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ ، فَيَكُونُ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً .

وَمِنْ أَدِلَّةِ تَقْدِيمِ الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ عَلَى اللُّغَوِيِّ الْأَصْلِيِّ مَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، وَقَال : إِنَّ صَاحِبًا

---

(١) ينظر تاج العروس [ح ل س] وحاشية ابن عابدين٤/٢٠٧

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٣٠.

لَنَا مَاتَ وَأَوْصَى بِبَدَنَةٍ، أَفَتُجْزِي عَنْهُ الْبَقَرَةُ ؟ فَقَال :" مِمَّنْ صَاحِبُكُمْ ؟ فَقَال مِنْ بَنِي رَبَاحٍ ، فَقَال : " مَتَى اقْتَنَتْ بَنُو رَبَاحٍ الْبَقَرَ ؟ إِنَّمَا الْبَقَرُ لِلأَزْدِ ، وَذَهَبَ وَهْمُ صَاحِبِكُمْ إِلَى الإِبِلِ [١].

فَهَذَا الأَثَرُ أَصْلٌ أَصِيلٌ فِي حَمْلِ الْكَلاَمِ الْمُطْلَقِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ النَّاسُ ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ إِرَادَةَ النَّاسِ تَذْهَبُ إِلَى الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ ، فِيمَا لَهُ مَعْنًى لُغَوِيٌّ وَمَعْنًى عُرْفِيٌّ ، فَالظَّاهِرُ عِنْدَ إِطْلاَقِ اللَّفْظِ إِرَادَةُ الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ ، وَلِهَذَا لَوْ قَال الْغَرِيمُ لِغَرِيمِهِ : وَاللَّهِ لأَجُرَّنَّكَ فِي الشَّوْكِ ، لَمْ يُرِدْ بِهِ حَقِيقَتَهُ اللُّغَوِيَّةَ عَادَةً ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ شِدَّةَ الْمَطْلِ ، فَلاَ يَحْنَثُ بِعَدَمِ جَرِّهِ فِي الشَّوْكِ وَإِنَّمَا يَحْنَثُ بِإِعْطَائِهِ الدَّيْنَ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ " [٢].

وقد جاءت ألفاظ من آيات الذكر الحكيم مفسرة على الدلالة العرفية – كما جاء في غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي منها :

أ – "**حَفَدَة** "

قال ابن اليزيدي في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [٣]: " الحفدة : الأعوان والخَدَم ، واحدهم حافد ، وقالوا :الأختان في التفسير ، ويقال : مَرَّ فلان يَحْفِد حَفَدانًا ،ومنه : "وإليك نسعى ونحفد "[٤]أي : نسرع "[١] .

---

(١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة ٧٨٣/٣ وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني ٣٥/٣، وقول ابن عباس : ذهب وهم صاحبكم إلى الإبل ، يعني قصد من ذكر البدنة الإبل لا البقر حسب المتعارف عليه في قبيلته .

(٢) ينظر بدائع الصنائع ٣٥/٣ والموسوعة الفقهية الكويتية ٣١٢/٧.

(٣) النحل من الآية [٧٢] .

(٤) من حديث عمر (رضي الله عنه) في دعاء القنوت مرفوعًا .كما في صحيح مسلم١١٣/٣وغريب الحديث لأبي عبيد ٣٧٥/٣

فقد ذكر للفظ " حفدة " معنيين ، أحدهما : المعنى العرفي له في اللغة ، وهو الدلالة على الأعوان والخدم ، والثاني : معناه في التفسير، ثم يشير إلى المعنى الأصلي لمادة [ح ف د] ، وهو الدلالة على الإسراع ، ويستشهد له بما ورد في دعاء القنوت .

دلالة اللفظ في اللغة :

أصل الحَفْد في اللغة : مداركة الخَطْو والإسراع فيه ، يقال : حفد الحادي وراء الإبل ، إذا أسرع ودارك خطوه ، وحفد البعير وكذا الظليم [ذكر النعام] حَفْدًا وحُفودًا وحَفَدانًا : أسرع في سيره ، وبعير حفَّاد على المبالغة إذا كان كذلك[٢] . قال حميد بن ثور في وصف البعير :

فدَتْهُ المَطايا الحافِدات وقَطَّعت ∴ نِعالاً لَه دُون الإكام جُلودُها[٣]

وقال الفزاري :

جَنُوح ثُباريها ظِلالٌ كأنَّها ∴ مَعَ الرَّكْبِ حَفَّانُ النَّعامِ المُجَنَّبِ[٤]

وقال الراعي النميري :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً ∴ إذَا الحُدَاةُ عَلَى أكْسَائِهَا حَفَدُوا[١]

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص ١٠٢ .

(٢) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة ١٧٠/١ والصحاح وأساس البلاغة [ح ف د].

(٣) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص٧٢ وغريب الحديث لابن قتيبة ٤٧٤/١، والإكام جمع الأكمة، وهي ما ارتفع من الأرض.

(٤) البيت من الطويل ، وهو في الجيم لأبي عمرو الشيباني ٢١٧/١ واللسان [ج ن ب] ، والمجنب : المجنوب وهو المقود .

ومن صفات السَّيْر : التحفيد والحَفَدان ، وهو العدو الذي ليس بشديد أو فوق الخبب [٢].

هذه هي الدلالة الأصلية للفظ " الحفد " في اللغة ، ومنها قيل للسرعة في كل شيء حَفْد وإحفاد ، محسًا كان أو معنويًّا ، يقولون : سيف محتفد ، إذا كان سريع القطع ، وحفد فلان في الأمر واحتفد : أسرع فيه [٣].قال الأعشى في وصف سيف :

ومُحْتَفِدُ الوقْعِ ذو هَبَّةٍ ∴ أجادَ جِلاهُ يَدُ الصَّيْقَلِ [٤]

ثم أصبح له دلالة عرفية اجتماعية ، تعارف عليها المجتمع العربي منذ وقت مبكر من العصر الجاهلي ، وهي مأخوذة من الدلالة الأصلية عن طريق التطور وكثرة الاستعمال ، وهي دلالة اللفظ على الخدمة والعمل [٥]، يقال : حفدت فلانًا أحفِده حَفْدًا وحَفَدانًا : خدمته وخففت إلى طاعته ، وهو حافد فلان وهم حفدته ، أي : خدمه وأعوانه ، وكل من خدمك وأعانك في شيء فقد حفدك سواء أكان من الأقارب أم من الأجانب ،هذا هو المعنى المتعارف في كلام

---

(١) البيت من البسيط في ديوانه ص ٥٢ وتهذيب اللغة [ك س ا] ، وأكسائها جمع كسئ ، وهو مؤخرها .

(٢) ينظر العين [ح ف د] .

(٣) ينظر العين والصحاح وأساس البلاغة [ح ف د] .

(٤) من المتقارب ولم أجده في ديوانه وهو في العين وتهذيب اللغة [ح ف د] ، وذو هبة : أي مضّاء في الضريبة .

(٥) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣٧٤/٣ .

العرب[١]، قال أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) : " ... وأما المعروف في كلامهم فإن الحَفْد هو الخدمة "[٢] .

ووجه الصلة أو العلاقة بين الدلالتين الأصلية والعرفية ، هو أن من يخدم إنسانًا أو يعينه فإنه يسرع ويخفّ إذا مشى في خدمته ، قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : " ومنه [أي الإسراع] قيل للعبيد و الإماء: حَفَدَة ؛ لأنهم يسرعون إذا مشوا للخدمة " [٣]،وعلى الدلالة العرفية جاء قول الشاعر :

يَحفِدُونَ الضَّيفَ في أبيَاتِهِمْ ∴ كَرماً ذِلكَ مِنهُمْ غَيرَ ذُلْ [٤]

وقال الآخر :

فَلوْ أنَّ نَفسِي طَاوعَتْنِي لأصبَحَتْ ∴ لهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ
ولَكنَّهَا نَفسٌ عليَّ أبيَّةٌ ∴ عَيُوفٌ لإصهَارِ اللِّئَامِ قَذُورُ[٥]

وفي حديث أم مَعْبَد في وصف الرسول (ﷺ) : (مَحْفُودٌ مَحْشُود لا عَابِسٌ ولا مُفْنِد) المَحْفُود : الذي يَخْدِمُه أصحابه ويُعَظِّمُونه ويُسْرِعون في طاعَتِه[١] .

---

(١) ينظر تهذيب اللغة والصحاح [ح ف د] والمخصص لابن سيدة ٣٣٦/١ والمفردات للراغب ص١٢٣وأساس البلاغة [ح ف د].
(٢) غريب الحديث ٣٧٤/٣.
(٣) غريب الحديث له ١٧٠/١ .
(٤) البيت من الرمل ، وهو منسوب لطرفة ولم أجده في ديوانه، وهو في غريب الحديث للخطابي ١١١/٢ و النكت والعيون للماوردي ٢٠٢/٣
(٥) البيتان من الطويل ، وهما لعبادة بن الصامت (رضي الله عنه) في أجبار الزجاجي ص ٣ ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ص٤١٣ ، والعيوف من عاف الشيء كرهه ، والإصهار : النسب .

ومن هذه الدلالة المتعارف عليها عند العرب قولهم لأولاد الأولاد : حفدة ، جمع حفيد وحافد ؛ لأنهم كالخدم في الصغر ولأنهم الأصل في خدمة الأبوين [٢]، ولا تزال هذه الدلالة متعارف عليها في بعض المجتمعات العربية حتى الآن . ومنه إطلاق الحفدة على البنات – أيضًا ؛ لأنهن خدم الأبوين في البيت . وكذلك أطلق لفظ الحفدة على الأختان ، واحدهم خَتْن وهو المتزوج بابنة الرجل أو بأخته ، وقيل : هو أبو امرأة الرجل وأخوها ، ويقال لهم الأصهار [٣]، وإنما قيل لهم حفدة لأنهم أعوان للزوج ، ويحصل لهم خدمة منه أو يخدمونه في كثير من الأحيان .

دلالة اللفظ في التفسير :

فُسِّرت كلمة " الحفدة " في هذه الآية بعدة تفسيرات لا تخرج في مجملها عن الدلالة العرفية لها في اللغة .

أحدها :أن المراد بالحفدة الأختان ، رواه زِرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، ورواه عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهم) ، ومعنى الآية على هذا التفسير : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وبنات تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الأختان والأصهار [٤].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٤٨/٤ والنهاية لابن الأثير [ح ف د] .
(٢) ينظر العين وأساس البلاغة والمصباح المنير [ح ف د] .
(٣) ينظر العين وتهذيب اللغة والمحكم لابن سيده [ح ف د] .
(٤) ينظر جامع البيان ٢٥٣/١٧ والكشف والبيان ٣٠/٦ وتفسير القرآن للسمعاني ١٨٨/٣ .

الثاني : أن الحفدة هم أعوان الرجل وخدمه ، وهو قول ابن عباس من رواية أبي حمزة ، وبه قال عكرمة والحسن والضحاك ومجاهد ، فيكون في الآية تقديم وتأخير ومعناه : وجعل لكم حفدة وجعل لكم من أزواجكم بنين [١].

الثالث : أنهم أولاد امرأة الرجل من غيره ، أي من الزوج الأول وهو قول ابن عباس من رواية العوفي ، وبه قال ابن زيد . فيكون المعنى : جعل الحفدة والبنين منهن ، أي من الأزواج[٢].

الرابع :أنهم ولد الولد ، وهو رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، فتقدير الآية على هذا :جعل لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة [٣].

وواضح من هذه التفسيرات أنها جاءت موافقة للمعنى العرفي لكلمة [حفد] في اللغة لا للمعنى لأصلي ؛ فكل منها جاء لإفادة معنى الخدمة ، ولذلك اكتفى المفسر بذكر بعضها للاختصار أو الإيجاز الذي سار عليه في هذا الكتاب .

ولكن يرجح من هذه الأقوال القول الرابع ، القائل بأن الحفدة هم ولد الولد ؛ لموافقته للمعنى اللغوي مع مناسبة نظم القرآن وقوة لفظه [٤]، قال القرطبي : " قلت : وما قاله الأزهري من أن الحفدة

---

(١) ينظر المصادر الثلاثة السابقة الجزء والصفحة ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٣/١٠ .
(٢) ينظر جامع البيان ٢٥٣/١٧ والكشف والبيان ٣٠/٦ .
(٣) المصدران السابقان الجزء والصفحة .
(٤) ينظر الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم أ/علي بن نايف الشحوذ ص ٤٣٠

أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصه ، ألا ترى أنه قال : " وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة " فجعل الحفدة والبنين منهن " [١]، وقال فيما نقله عن ابن العربي : " والأظهر عندي أن البنين أولاد الرجل لصلبه، والحفدة : أولاد ولده ، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا "[٢].

ب- الهَجْر :

في بيان معنى قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[٣]، قال ابن اليزيدي :" في التفسير: قالوا فيه غير الحق ، وهو من قولهم : هَجَرَ المريض يَهْجُرُ " [٤].

فهو يفسر الهَجْر – هنا – بقول الباطل ، ويستند في هذا إلى الاشتقاق ، فهو مشتق من هجر المريض ، إذا تكلم بما لا يُفْهم من شدة مرضه ، وهذا التفسير هو المروي عن إبراهيم النخعي ومجاهد [٥] .

دلالة اللفظ في اللغة :

الهَجْر والهِجران : ترك ما يلزمك تعهّده ، يقال : هَجَرَ فلان فلانًا يَهْجُرُه هَجْرًا وهِجْرانًا : صرمه وقاطعه ، وهما يهجران ويتهاجران ، والاسم : الهِجْرة [٦]، قال العجاج :

محَلُّ الهَجْرِ أنتَ بهِ مقيمُ ∴ مُلِبٌّ ما تزولُ ولا تريمُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٤٣ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) الفرقان من الآية [٣٠] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص١٣١.
(٥) ينظر تفسير مجاهد ٢/٤٥٢ وجامع البيان ١٩/٢٦٤ .
(٦) ينظر العين والصحاح والمحكم [هـ ج ر]

أمـــاراتُ الجفـــاءِ محقّقـــاتٌ ∴ لمـا ثبـدي وأنـتَ لهـا كتـومُ [١]

وهاجر أرضه وقومه : باعدهم ، ولقيته عن هَجْرٍ ، أي : بعد حولٍ ونحوه ، قال الشاعر :

لمّـا أتـاهُمْ بعـد طُـولِ هَجْـرِهِ ∴ يَسْـعَى غـلامٌ آهِلِـهِ ببِشْـرِهِ [٢]

أي : يبشـرهم به ، وهجر الشيء وأهْجَرَهُ : تركه ، الأخيـرة [لغة] هذلية [٣]، قال الشاعر :

كـأنّي أصـادِيها علـى غُبْـرِ مـانعٍ ∴ مُقَلّصَـةً قـد أهْجَرتْهَـا فُحولُهـا [٤]

هذه هي الدلالة الأصلية لكلمة الهَجْر في كلام العـرب ، يـدل لذلك قول ابن دريد في اشتقاق مُهاجر ، وهو مهاجر بن عبد الله بن أمية: " ومهاجر : مفاعل من الهِجْرَة ، ومن الهِجْران ، وهو الأصل ، كأنه هجر بلده وقومه وخرج عنهم "[٥] والفعل على هذه الدلالة متعد بنفسه .

---

(١) البيتان من الوافر ولم أجدهما في ديوانه ولا في غير الزاهر في معاني كلمات الناس ٩٣/١ ، وملبٌّ : مقيم من ألبّ في المكـان : أقام فيه ، والهجر بمعنى الترك .

(٢) البيت من البسيط وهو في المحكـم واللسـان وتـاج العـروس [هـ ج ر] .

(٣) المحكم [هـ ج ر] .

(٤) البيت من الطويل وهو لأسامة الهذلي ، كما في المحكم واللسان [هـ ج ر] ، وغُبْرُ كل شيء : بقيته ، و الجمع : أغبار ، وهو الغُبَّر أيضا ، وقد غلب ذلك على بقية اللبن في الضَّرع ، والمانع : الناقة التي منعت لبنها .

(٥) الاشتقاق ص ٩٩ .

ثم تفرعت دلالة الكلمة ، فأصبح لها في ظل الاستعمال اللغوي معنى عامّ وآخر خاص ، أما العام فهو المتمثل في الدلالة العرفية ، التي تعارف عليها المجتمع العربي في ظل التطور التاريخي الدلالي لتلك الكلمة .

من ذلك : الهَجْر والهَجير والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحَرِّ ، يقال : أتينا أهلنا مهجرين أي : في وقت الهاجرة [١]، قال لبيد :

راحَ القطينُ بهَجْرٍ بَعدَما ابتَكَرُوا ∴ فَما ثواصِلُهُ سلمَى ومَا تَذَرُ[٢]

وهَجَّروا : ساروا في ذلك الوقت ، قال الشاعر :

وَتَهجِيرَ قَدَّافٍ بِأَجرَامِ نَفسِهِ ∴ عَلَى الهَولِ لاَحَتْهُ الهُمُومُ الهَوَاجِسُ [٣]

وسميت هاجرة ؛ لأن الناس يسكنون في بيوتهم ، كأنهم قد تهاجروا أي : ترك بعضهم بعضًا وتباعدوا ، فهي من الهجر بمعنى الترك . والهجير : يبيس الحَمْض الذي كسَّرته الماشية ، وهُجِرَ أي : ترك [٤]، قال الشاعر :

---

(١) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [هـ ج ر] .

(٢) البيت من البسيط في ديوانه ص٣٧ والعين [هـ ج ر] ، والقطين: من قولهم : قطين الرجل ، وهم خدمه وحشمه ، وراح بمعنى ذهب ، وابتكروا من البكور : أول النهار .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في ديوانه١٤٦ والعين [هـ ج ر] ، والهواجس جمع هاجس ، وهو ما يخطر بالبال ، ويروى الأباعد بدل الهواجس .

(٤) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [هـ ج ر] .

وَلَمْ يَبْقَ بِالْخَلْصَاءِ مِمَّا عَنَتْ بِهِ ∴ مِنَ الرَّطْبِ إِلاَّ يَبْسُهَا وَهَجِيرُهَا[١]

ومن المتعارف عليه عند العرب : الهَجْر بمعنى الهَذَيان ، يقولون : هَجَرَ المريض يَهْجُرُ هَجْرًا ، إذا تكلم بغير معقول ؛ لشدة مرضه ، فهو هاجر والكلام مهجور فيه ، وكذلك يفعل المبرسم [المحموم] في نومه إذا حلَمَ وهَذى . والهُجر – بالضم – الاسم من الإهجار ، وهو الإفحاش في المنطق والخنا ، والفعل – هنا لازم غير متعد من هجر في الكلام ، إذا هَذى أو أهجر فيه أي : أفحش[٢] قال الشماخ :

كماجِدَةِ الأعْراقِ قال ابنُ ضَرَّةٍ ∴ عليها كلاماً جارَ فيه وأهْجَرا[٣]

وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي ، ورماه بهاجرات ومُهْجِرات ، أي بفضائح،سمي هذا كله؛لأنه من الكلام المهجور الذي لا خير فيه[٤].

وفي مقابل هذا المعنى يقولون للشيء الحسن الفائق الجيد : هَجْر ومُهْجِر وهاجريّ ، من ذلك : ناقة مهجرة : فائقة في الشحم أو

---

(١) من الطويل وهو لذي الرمة – أيضًا – في ديوانه ص١٣٩ ومقاييس اللغة [هـ ج ر] ، والخلصاء : موضع ، والعناء : نبت من قولهم عنت الأرض : إذا أنبتت ، و اليبْس : اليابس الذي لم يعهد رطبًا قط .

(٢) ينظر العين والصحاح والمحكم وتاج العروس [رهـ ج ر] .

(٣)البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص ٢٧ وتهذيب اللغة [هـ ج ر] ، وماجدة الأعراق أي : أصولها منسوبة إلى المجد ، وابن ضَرَّة : أي : ابن زوجها من غيرها ، وجار من الجور ، وهو ضد العدل ، وأهجر : أفحش .

(٤) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [هـ ج ر]

السير ، وبعير مهجر وكبش مهجر : حسن كريم ، قال الشاعر في وصف الجمل :

عَرَكْرَكٌ مُهْجِرُ الضُّوبانِ أوَّمَهُ ∴ رَوْضُ القِذَافِ رَبِيعاً أيَّ تَأْوِيمِ[1]

وهذا أهجر من هذا ، أي أكرم ، وأهجرت الجارية : شبت شبابًا حسنًا ، وذهبت الشجرة هَجْرًا أي طولاً وعِظَمًا [2]، قال ابن فارس بهذا الصدد : " يقولون : هذا شيء هَجْرٌ، أي لا نظير له ، كأنَّه من جَودته ومباينته الأشياءَ قد هَجَرها "[3] .

فيكون هذا المعنى مأخوذًا من دلالة الكلمة اللغوية الأصلية ، وقال الإزهري : " وإنما سمي ذلك إهجارا ؛ لأن ناعته يخرج في نعته عن الحد المقارب المشاكل للمنعوت إلى نعت يُفْرِط فيه ، فكأنه يَهذي ويَهجُر " [4].

فيكون حينئذ مشتقًا من الدلالة العرفية . وأما المعنى الخاص لكلمة " هجر " فهو المتمثل في الدلالة الشرعية ، وهي ترك الشيء محسًا كان أو معنويًا قربة لله (تعالى) ، قال الفيومي : " الهِجْرَةُ – بالكسر – مفارقة بلد إلى غيره فإن كانت قربة لله فهي الهِجْرَةُ

---

(١) البيت من البسيط ، وهو في الصحاح واللسان [هـ ج ر] ، والعركرك : الجمل القوي الغليظ ، وروض القذاف : موضع ، والضوبان : الجمل القوي المسن الضخم واحده وجمعه سواء ، وأوَّمه : شوه خَلْقَه .

(٢) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمحكم [هـ ج ر] .

(٣) مقاييس اللغة [هـ ج ر] .

(٤) تهذيب اللغة [هـ ج ر] .

الشرعية ، وهي اسم من هَاجَرَ مُهَاجَرَةً و هذه مُهَاجَرَتُه على صيغة اسم المفعول أي موضع هجرته " [١].

وعلى هذه الدلالة الشرعية جاء قول النبي (ﷺ) : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[٢]، وفي رواية : " وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ " ، لأن المقصود من الهجرة – هنا – التقرب إلى الله (تعالى) ، ولا يتم ذلك إلا بترك الخطايا ،[٣] ويلحظ أن الهجر في هذا الحديث من الأمور المعنوية .

ومن هذه الدلالة – أيضًا – التهجير بمعنى التبكير إلى الجمعة خاصة ، وذلك في قوله (ﷺ) (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، فَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ...) [٤]، قال بعض أئمة أهل اللغة المراد بالتهجير إلى الجمعة : التبكير ، وهي لغة حجازية [٥]، وسمي المبكر مُهَجِّرًا ؛ لأنه يترك ما يشغله من أمور الدنيا ويسارع بالتوجه إلى الله وسماع الخطبة ، ولما كان التبكير لله (تعالى) سميت الدلالة " شرعية " .

---

(١) المصباح المنير [هـ ج ر] .
(٢) رواه عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) وهو في صحيح البخاري ١٣/١ وسنن أبي داود ٣١٢/٢ .
(٣) ينظر سنن ابن ماجة ١٢٩٨/٢ وشرح السنة للبغوي ٢٩/١ .
(٤) رواه أبو هريرة (ﷺ) في صحيح البخاري ٣١٤/١ وسنن ابن ماجه ٣٤٧/١.
(٥) ينظر تهذيب اللغة [هـ ج ر] وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٩١٥/١ .

الدلالة في التفسير :

للمفسرين في قوله (تعالى) : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ قولان :

أحدهما : أن المشركين من أهل مكة تركوا القرآن ، ولم يؤمنوا به ، ولم يرفعوا إليه رأسًا ، ولم يتأثروا بوعده ووعيده ، فيكون " مهجورًا " من الهَجْر أو الهِجران بمعنى الترك ، وهو قول ابن زيد ، فيكون التفسير جاء على الدلالة الأصلية للفظ "هجر" في اللغة [١].

الآخر : أن قوله " مهجورًا " من الهَجْر بمعنى الهَذَيان ، أو الهُجْر بمعنى قول الفُحش ، والكلام على الحذف والإيصال [٢]، أي : جعلوه مهجورًا فيه ، إما على زعمهم الباطل ، نحو ما قالوا : إنه أساطير الأولين اكتتبها ، وإما بأن هجروا فيه ورفعوا أصواتهم بالهذيان لما قرئ لئلا يُسمع كما قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وهو قول مجاهد وإبراهيم – كما تقدم . فيكون التفسير جاء على الدلالة العرفية [٣]، وعلى هذه الدلالة – أيضًا – جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ [٤]، فالضمير في " به " للبيت العتيق ، يقولون : نحن أهله ، وإذا كان الليل سمروا

---

(١) ينظر جامع البيان ٢٦٤/١٩ والكشف والبيان ١٣٢/٧ وروح البيان للألوسي١٤/١٩.

(٢) لأنه من الفعل اللازم " هجر في الشيء " ، فعند صياغة اسم المفعول يذكر معه حرف الجر ، وهو واسطة التعدي ، وإن كان محذوفًا هنا .

(٣) ينظر تفسير مجاهد ٤٥٢/٢ وجامع البيان ١٩/ ٢٦٤ وروح المعاني ١٤/١٩.

(٤) المؤمنون [٦٧] .

وهجروا ، يعني أنهم كانوا يسبون النبي (ﷺ) ويهجونه في أشعارهم إذا خلوا حول البيت ليلاً ، ويصفونه بما ليس فيه [١].

وأولى القولين هو حمل التفسير على الدلالة العرفية ؛ لأنها متطورة أو متفرعة من الدلالة الأصلية ، وتفيد مفهوم الهجر بمعناه الأعم ودلالاته المتعددة ، فيكون الهجر بمعنى الإعراض والهذيان وقول الفحش مرادًا من قوله (مهجورًا)؛ لذا قال ابن عباس : " اتخذوا هذا القرآن مهجورًا ، أي : مسبوبًا متروكًا ، ولم يعملوا بما فيه " [٢].

ويؤيد هذا من السياق اللغوي لآي القرآن الكريم قوله (تعالى) ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [٣]وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [٤].

ويلحظ أن ابن اليزيدي قد اقتصر على الدلالة العرفية في تفسيره لهذه الكلمة ، حيث جعلها مشتقة من هجر المريض ، إذا : هذى ، وهو اشتقاق دلالي ؛ لأن صورة الأخذ منصبة على تفرع المعنى دون اللفظ .

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ١٩٥/٣ والمعجم الكبير للطبراني ٧٤/١١ وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٧٠٢.
(٢) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ص ٣٧٩ .
(٣) الأنعام من الآية [٢٦] .
(٤) فصلت من الآية [٢٦] .

المبحث الرابع

الدلالة الشرعية

وهي : دلالة اللفظ المستفادة من الشرع ، دلالة غير ما كانت عليه في الأصل بالوضع اللغوي [١]. أو هي كل لفظ وضع لمعنى في اللغة ، ثم استعمل في الشرع لمعنى آخر ، مع هِجران الاسم اللغوي عن المسمى بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين الوضع الأول [٢]. ويقال لها – أيضًا – الحقيقة الشرعية .

من هذا التعريف يتبين أن الدلالة الشرعية تعد انتقالاً للفظ من معني لمعنى آخر تعارف عليه بحكم الشرع بعد أن خفيت العلاقة بين المعني الأصلي والشرعي ، قال أبو الحسن المرداوي (ت٨٨٥هـ) : " اعلم أن اللفظ إذا وضع لمعنى ، ثم نقل في الشرع إلى معنى ثان لمناسبة بينهما ، وغلب استعماله في المعنى الثاني ، يسمى : منقولاً شرعياً " [٣].

لكن ينبغي أن يعلم مما جاء في التعريف من قوله : " مع هِجران الاسم اللغوي عن المسمى ... " أن معناه : خفاء المعنى الأصلي للفظ عند استعماله في مجال الشرع ، وإلا فاستعماله في اللغة باق يرجع إليه عند محاولة الربط أو إظهار العلاقة بين ما اصطلح عليه في الشرع وبين المعنى الوضعي في اللغة . والمقصود

---

(١) النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ص ٨٨ .
(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٥٥٥ .
(٣) التحبير شرح أصول التحرير في أصول الفقه ٤٩٢/٢ .

بالشرع في التعريف : هو ما استجد من معنى لألفاظ اللغة بظهور الإسلام مما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وعليه فهي نوع خاص من الدلالة العرفية ، تطلق على ما اصطلح عليه المتقدمون من أهل اللغة بـ " الألفاظ الإسلامية " [١].

فكلمة الفسق تعني في الشرع : خروج الإنسان عن طاعة الله ، وهو معنى جدَّ في الإسلام ، ولم يكن يعرف في العصر الجاهلي إلا بمعنى خروج الرطبة عن قشرها ، والعلاقة بين المعنيين القديم والحديث هي مطلق الخروج قال الزبيدي : "... ونقلَ الأصبهانيُّ عن ابنِ الأعرابيّ : لم يُسْمع الفاسِقُ في وصْفِ الإنسان في كلامِ العَرَب . وإنّما قالوا إذا خَرَجت الرُّطَبَة من قشرِها : فسَقَت الرُطَبَةُ عن قِشْرِها [٢]. ونقل شيخُنا عن بعضِ فُقَهاءِ اللُّغَة أنّ الفِسْقَ من الأَلْفاظِ الإسلاميّةِ ، لا يُعرَفُ إطلاقُها على هذا المَعْنى قبلَ الإسلامِ وإن كان أصلُ معْناها الخُروجَ ، فهي من الحَقائِق الشّرْعِيّة التي صارَتْ في معْناها حَقيقةً عُرْفِيّةً في الشّرْعِ "[٣]

والصَّلاةُ أصلها في اللغة : الدعاء لقوله تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[٤]، أي : ادعُ لهم ، ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[٥]، أي : دعاء ،ثم سميت بها هذه الأفعال المشهورة في الشرع ؛

---

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢٣٥/١ .
(٢) المفردات ص ٣٨٠ [ف س ق] .
(٣) تاج العروس [ف س ق] .
(٤) التوبة من الآية [١٠٣] .
(٥) البقرة من الآية [١٢٥] .

لاشتمالها على الدعاء [١]. وعلى الدلالة الشرعية جاء قوله :(تعالى) ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[٢] ، :﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [٣] وغيرها من الآيات . ويلحظ من هذه الآيات أن كلاً من الدلالتين قد جاء في القرآن مما يدل على بقاء المعنى الأصلي بجوار المعنى الشرعي في اللغة والقرآن بقاءً للأصل بجوار فرعه .

هذا وقد جاءت ألفاظ من آي الذكر الحكيم مفسرة على الدلالة الشرعية في غريب القرآن لابن اليزيدي ، وبيانها كالتالي :

أ – طلح :

قال المفسِّر في بيان قوله (تعالى) : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ [٤]: " لا شوك فيه وقال بعضهم : زعم المفسرون أنه الموز " [٥].

فالظاهر من كلامه أنّ الطلح في كلام العرب : شجر ذو شوك ، غير أن طلح الجنة – كما في هذه الآية – لا شوك فيه ، وأن المفسرين قد فسروه بالموز ، وهو شجر من أشجار الفاكهة معروف.

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

قال الخليل : " [الطلح] :شَجَرُ أمِّ غَيْلان شَوْكُه أَحْجَنُ ، من أعظم العِضاهِ شَوْكاً وأصلبه عُوداً وأجوده صَمْغاً الواحدة طَلْحة . والطَّلْح في القرآن المُوْز"[٦].

---

(١) المصباح المنير للفيومي [ص ل ى] .
(٢) طه [١٤] .
(٣) طه [١٣٢] .
(٤) الواقعة [٢٩] .
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ١٧٥ .
(٦) العين [ط ل ح] .

وقال أبو عبيدة (تـ٢١٠هـ) : " وطَلْحٍ مَنْضُودٍ " زعم المفسرون أنه الموز وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك ، وقال الحادي :

بشّرها دليلُها وقالا ∴ غداً ترين الطّلحَ والحبالا " [1]

فمن هذين القولين يتبين أن الطلح في العرف اللغوي عند العرب شجر عظيم من شجر العضاه ، كثير الورق شديد الخضرة، له شوك أحجن ونَوْر طيب الريح ، ينبت في بطون الأودية وترعاه الإبل وتستظل به ، وهو الطِّلاح – أيضًا ، ومفردها : طلْحة ، ويقال لها أم غَيْلان [2].

قال الشاعر في الطِّلاح :

إنّي زعيمٌ يا نُوَيْ ∴ قةُ إن نَجَوتِ من الرَّوَاح
أن تَهبطين بلاد قَوْ ∴ مٍ يَرتعون من الطّلاَح [3]

وقال في أم غيلان :

يا أمّ غَيلانَ لَقيتِ شرّا ∴ لقد فَجَعتِ آمِناً مُغبَرّا
يَزُورُ بيتَ اللهِ فِيمَنْ مَرّا ∴ لاقَيتِ نَجّاراً يَجُرُّ جَرّا

بالفأسِ لا يُبْقِي على ما اخضَرّا[4] .

---

(١) البيت من الرجز وهو في مجاز القرآن ١٢١/١ وجامع البيان ١١٢/٢٣ .
(٢) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمحكم [ط ل ح]
(٣) البيتان من الرجز وهما في تهذيب اللغة وللسان [ط ل ح] ، والزواح : الذهاب .
(٤) الأبيات من الرجز وهي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٢٦١ واللسان [ط ل ح] .

كما يؤخذ – أيضًا مما قاله الخليل وأبو عبيدة أن تفسير الطلح بالموز لم يكن معروفًا في اللغة من قبل بل جاء في الإسلام على الدلالة الشرعية المكتسبة من القرآن [١].

وجَعْلُ الطلح مرادفًا للموز في هذه الآية هو المأثور عن كبار الصحابة وأئمة التابعين كعلي وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة (رضي الله عنهم) [٢].

وعليه فالمنضود : الذي نضد بالورق أو بالثمر من أسفله إلى أعلاه ، بحيث لا يظهر له ساق ، من قول العرب : نضدت المتاع ، إذا وضعت بعضه على بعض [٣].

على أن من المفسرين من فسر الطلح – هنا على الدلالة العرفية عند العرب ، فقال : الطلح : شجر عظام كبار له شوك ، وهو قول الفراء وأبي عبيد ة . فإن قيل ما الفائدة في الطلح حينئذٍ ؟ فالجواب : أن له نوْرًا وريحًا طيبة وظلاً باردًا ، فقد وعدهم ما يعرفونه ويميلون إليه وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا [٤]

---

(١) ينظر المحكم [ط ل ح] .
(٢) ينظر غريب الحديث لإبراهيم الحربي ٦٣٠/٢وجامع البيان ١٠٩/٢٣ وزاد المسير لابن الجوزي ١٣٩/٨ .
(٣) ينظر صحيح البخاري ١٨٤٩/٤ وغريب الحديث لابن قتيبة ٥٢٣/٢ .
(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ومجاز القرآن١٢٤/١، وزاد المسير ١٣٩/٨ .

ويلحظ من هذا العرض أن ابن اليزيدي قد ذكر الدلالتين العرفية والشرعية في تفسيره على الرغم من إيجازه وقلة عبارته . و العلاقة بين الدلالتين واضحة ؛ فكل من العضاه والموز شجر أخضر كثير الورق وارف الظل .

ب- الزلفى :

وفي تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ﴾ (١)، قال عبد الله : " زلفًا من الليل : ساعة بعد ساعة من الليل ، وقال المفسرون : أريد به المغرب والعشاء ، وقالوا طرفي النهار : الظهر والعصر ، وبه سُمِّيت المزدلفة ، والزُّلْفَة : منزلة بعد منزلة " (٢).

مما ذكر ه في بيان معنى الزلفى يتبين أن الدلالة اللغوية لها بحسب الأصل هي التقرب من شيء والدنو منه درجة بعد درجة ، أما الدلالة المكتسبة من الشرع فهي إطلاق الزلف على فريضتي المغرب والعشاء ؛ لقرب ما بينهما من الزمن .

دلالة للفظ بين اللغة والتفسير :

أصل الزَّلَف في كلام العرب : التقدم أو التقرب (٣). يقال : أزلفت الرجل إلى كذا : قربته وأدنيته منه ، قال الشاعر :

وكلُّ يومٍ مَضى أو ليلةٍ سَلَفَتْ ∴ فيها النُفوسُ إلى الآجالِ تَزْدَلِفُ(٤)

---

(١) هود [١١٤] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٢ .
(٣) ينظر تهذيب اللغة والمقاييس والصحاح [ز ل ف] .
(٤) من البسيط ، وهو في تفسير القرآن للسمعاني ٥١/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٠٦/١٣.

ويُقال للمراقي: المَزَالِفُ، لأن الرّاقِيَ فيها تُزْلِفُه أي تُدْنِيْه مما يَرْتَقي إليه[١]. والمَزْلَفَةُ: قرية تكون بين البَر وبلاد الريف، والجميع: المَزَالِفُ – أيضا ، وإنّما سُمِّيت بذلك لقُرْبِها من الرِّيف[٢].قال الشاعر :

دقاقُ الخُصُورِ لم تُعَقِّرْ ثُرُونها ∴ لشجوٍ ولم يحضرْنَ حمى المزالفِ[٣]

والْمُزْدَلِفَةُ : موضع بمكة ، بَيْنَ عَرَفَاتٍ ومِنىً ، سُمِّيَ به لأَنَّهُ يُتَقَرَّبُ فِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى ، أَو لاقْتِرَابِ النَّاسِ إِلَى مِنىً بَعْدَ الإِفَاضَةِ مِن عَرَفَات ، أَو لِمَجِيءِ النَّاسِ إِليها في زُلَفٍ مِنَ اللَّيْلِ ، أو سُمِّيَتْ لأَنَّ آدَمَ اجْتَمَعَ فيها مع حَوَّاءَ عليهما السَّلامُ ، وازْدَلَفَ منها ، أَي : دَنَا ، كما سُمِّيَتْ جَمْعاً لذلك [٤]. وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الأخَرِينَ ﴾ [٥]

أي : قربنا الآخرين من الغرق ، وهم أصحاب فرعون ، و قال أبو عبيدة : جمعنا ثم الآخرين ، وكلا القولين حسن جميل ؛ لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض [٦]. وقوله : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٧] أي : أُدْنِيَت وقُرِّبَت .[٨]

---

(١) العباب [ز ل ف] .
(٢) ينظر مقاييس اللغة والعباب [ز ل ف] .
(٣) البيت من الطويل ، وهو في أساس البلاغة [ز ل ف] ، ولم أجده في غيره
(٤) ينظر العين والصحاح والعباب وتاج العروس [ز ل ف] .
(٥) الشعراء [٦٤] .
(٦) ينظر تهذيب اللغة [ز ل ف] والجامع لأحكام القرآن١٣/١٠٦.
(٧) الشعراء [٩٠] .
(٨) ينظر الكشف والبيان ٧/١٧١ .

والزُّلفى والزُّلفة : القُرْبة والمنزلة والطائفة من أول الليل ، وجمعها : زُلَف وزُلُفات وزُلْفات [١].قال العجاج في وصف بعير :

ناجٍ طَواهُ الأينُ مِمّا وَجَفا ∴ طَيَّ اللَّيالي زُلَفاً فَزُلَفا

سَماوَةَ الهِلالِ حتّى احْقَوْقَفا [٢].

وعليه فالدلالة الأصلية اللغوية للزلف في قوله : ﴿ زلفًا من الليل ﴾ ، أي : ساعة بعد ساعة يقرب بعضها من بعض[٣] ، لكن قصد من التفسير : الدلالة الشرعية ، وهي إطلاق الزُّلَف على المغرب والعشاء ، قال الأزهري مبينًا الدلالتين والعلاقة بينهما : " وأما قوله (تعالى) : وزلفا من الليل ، فإنه أراد صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة ، وسماها زلفا لأنهما في أول ساعات الليل وأقربها ، وأصله من الزُّلْفى وهي القُرْبى " [٤].

وهذه الدلالة الشرعية هي المروية عن رسول الله (ﷺ) فقد روي عن الحسن ورفعه قال: قد بيّن اللهُ مواقيتَ الصلاة في القرآن ، قال :﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾[٥]، قال: "دلوكها": إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيءٌ [ظلّ].

---

(١) ينظر العين والعباب [ز ل ف] .
(٢) الأبيات من الرجز وهي في ديوانه ص٣٧٤ والصحاح [ز ل ف] ، والأين : التعب ، والوجف : ضرب من سير الخيل والإبل ، وقوله زلفًا فزلفًا :أي ساعات بعد ساعات متقاربة ،وسماوة كل شيء أعلاه ،واحقوقف : إعوجّ ودق .
(٣) ينظر العباب [ز ل ف] وشرح السنة للبغوي ١٧٨/٢ .
(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٢.
(٥) الإسراء [٧٨] .

وقال:﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَار ﴾، الغداة، والعصر ، ﴿وزلفًا من الليل﴾ ، المغرب، والعشاء ". قال : فقال رسول الله (ﷺ) : هُما زلفتا الليل ، المغرب والعشاء " [١].

وهذا التفسير هو المأثور – أيضًا – عن ابن عباس وقتادة ومجاهد [٢].

---

(١) جامع البيان ٥٠٧/١٥ وتفسير ابن كثير ٣٥٥/٤.

(٢) ينظر تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ٢١٤ وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ٢٣٢/٣وجامع البيان ٥٠٧/١٥ .

المبحث الخامس

دلالة التخصيص

أو تخصيص العام ، وهو مظهر من مظاهر التطور الدلالي ذكره السيوطي تحت ما يسمى : بالعام المخصص ، وعرفه بقوله : " هو ما وضع في الأصل عاماً ،ثم خصّ في الاستعمال ببعض أفراده"[١] وعرفه بعض علماء اللغة المحدثين ، فقال : " هو خروج الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الأصل إلى حدٍ ملحوظٍ " [٢] .

يعني بذلك تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، أو تضييق مجالها ، وعرفه بعضهم –أيضاً– بأنه " تحديد معاني الكلمات وتقليلها " [٣] .

ثم إن التخصيص قسمان :

قسم يقصر العام فيه على بعض أفراده ، اعتماداً على دليل خارجي ، أو قرينة سياقية ، دون ذكر التخصيص صراحة ،

---

(١) المزهر ١/ ٤٢٧ .
(٢) دلالة الألفاظ العربية وتطورها د/ مراد كامل ص٢٥ .
(٣) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص٢٤٥ .

وهذا القسم يخص اللفظ المشترك . ذكروا أن اللفظ إذا كان موضوعاً لمعنيين أو أكثر فإن اقترنت به قرينة تخصّص أحد المعاني فهو ذلك المعنى وإن لم تقترن به قرينة من هذا النوع بقي مجملاً [١]. ومن الأمثلة الدالة على ذلك : الهلالُ ، فإنه يطلق على عدة معانٍ ، هلال السماء وهلال الصيد : وهو شبيه بالهلال يُعَرْقَب به حمارُ الوحش وهلال النَّعل : وهو الذُّؤَابة والهلال : القطْعة من الغبار وهلال الإصبع : المطيف بالظفر والهلال : قطعةُ رَحىَ والهلال : الحيَّة إذا سلخت والهلالُ : باقي الماء في الحوض والهلال : الجملُ الذي قد أكثر الضّراب حتى هَزل [٢] ، فلو قال قائل : شربت من الهلال ، أو رميت هلالاً أو قال : امتطيت هلالاً ، لانصرف ذهن السامع إلى التخصيص وإفراد لفظ الهلال لمعنى واحد فقط من بين تلك المعاني ، وهو في الأول بمعنى بقية الماء في الحوض ، وفي الثاني بمعنى حديدة الصيد ، وفي الثالث بمعنى الجمل المهزول .

والقسم الآخر : هو ما يقصر فيه العام على بعض أفراده نتيجة لكثرة الاستعمال في عرف الجماعة اللغوية ، وفي هذا النوع يكثر ذكر لفظ التخصيص صراحة .

ومن ذلك لفظ (السَّبت) فإنه في اللغة الدَّهْر ، ثم خُصَّ في الاستعمال لغة بأحد أيام الأُسبوع : وهو فرد من أفراد الدهر .

وفي أسماء الجماعات:

---

(١) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية لعالم سبط النيلي ص١٧.

(٢) المزهر في علوم اللغة ١/ ٢٩٤ .

يقال لجماعة الظباء والبقر: إجْلٌ وجمعه آجال ، و رَبْرَبٌ .

و الصُّوار : جماعة البقر خاصة [١]،

والقسم الأول هو المراد بالدرس والبحث هنا دون الثاني ؛ لأن الهدف هو الإفراد دون التخصيص بكثرة الاستعمال في اللغة ، ومما جاء من دلالته في القرآن الكريم في ضوء غريب ابن اليزيدي ما يأتي :

أ- السوء :

قال أبو عبد الرحمن في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾[٢] : " من غير سوء ، قالوا : من غير برص في التفسير " [٣].

فهو يبين معنى الكلمة في التفسير ، ولم يتعرض لمعناها في اللغة ، وما ذكره هو المأثور عن ابن عباس وقتادة ومجاهد [٤].

دلالة اللفظ في اللغة :

قال الخليل : " السُّوء : نعت لكل شيء رديءْ ساء يَسُوءُ لازمٌ ومجاوزٌ [متعدٍ] وساء الشيء قَبُحَ فهو سَيِّىءٌ ، والسُّوء : اسم جامعٌ للآفات والدّاء "[٥] .

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٧ .
(٢) طه [٢٢] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٤ .
(٤) ينظر تفسير مجاهد ٢٩٥/١ وجامع البيان ١٣/ ١٧ ومجمع الزوائد للهيثمي ١٥٢/٧ .
(٥) العين [س و ء] .

وقال الراغب الأصفهاني : " السُّوء :كل ما يَغُمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية ، والخارجة من فوات مال وجاه وفقد حميم " (١).

فمن خلال القولين يتبين أن لفظ " السُّوء " يفيد العموم في الاستعمال اللغوي ، وهو الدلالة على مطلق القُبح الذي يقع على الإنسان أو يصدر منه أو يتصف به .

يقال : ساءَه يسُوءُه سَوْءًا ومَساءَة ومسائيةً : نقيض سرّه ، فعل به ما يكره ، واستاء هو : اهتم ، وسُؤت له وجهه : قَبَّحْتُه ، ورجل أسوأ : قبيح وامرأة سَوْآء قبيحة ، وفي الحديث : (سَوْآءُ ولُودٌ خيرٌ من حَسْنَاءَ عَقِيم)(٢)، وكل كلمة قبيحة أو فعلة قبيحة سوآء (٣)، قال أبو زبيد الطائي :

ظَلَّ ضَيْفاً آخُوكُمُ لأَخِينَا ∴ في شَرابٍ ونَعمةٍ وشِواءِ
لَمْ يَهَبْ حُرمَةَ الذَّمِيمِ وحُقَّتْ ∴ يَا لَقَومِي للسَّوْأةِ السَّوْآءِ (٤)

وأساء الشيء : أفسده ولم يحسن عمله ، وفي المثل : أساء كارهٌ ما عَمِل(٥).

---

(١) المفردات ص ٢٥٣ .
(٢) ينظر السنن الكبرى للبيهقي١٤٠/١والفائق للزمخشري٢١٥/٢ .
(٣) ينظر مقاييس اللغة والصحاح والمحكم [س و ء] .
(٤) البيتان من الخفيف ، وهما في المعاني الكبير لابن قتيبة ١١٠/١ وتهذيب اللغة [س ا ء] ، والشاعر يذكر رجلاً قتل رجلاً أضافه، فسمى هذه الفعلة بالسوأة السوأء .
(٥) ينظر جمهرة الأمثال للعسكري ١٩٧/١ ومجمع الأمثال للميداني ٣٣٨/١ ، يضرب مثلا للرجل يُكره على الأمر فلا يبالغ فيه .

والسُّوأى :بوزن فُعْلى اسم الفَعْلة السيئة ، وهي ضد الحُسْنى للحسنة ، محمولة على جهة النعت في حدِّ أَفْعَل وفُعْلى كالأسوأ والسُّوأى[١]، قال أبو الغول النهشلي :

وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ حَسَنٍ بِسُوآى ∴ وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ [٢]

وقوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى ﴾[٣] ، أي عاقبة الذين أشركوا النَّار ، أي نار جهنم – أعاذنا الله منها . وسُمِّيت السيئة سيئة والنار سُوأى ؛ لقبح منظرها [٤]. ويضاف المرأ إلى السوء إضافة الموصوف إلى صفته ، إذا أريد المبالغة في سوء خُلُقه وقبح طباعه ، من ذلك قول أوس بن حجر :

وَرِثْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ∴ أَسَأْنَا في دِيارِهِمُ الصَّنِيعَا
إذا الحَسَبُ الرَّفِيعُ تَوَاكَأَتْهُ ∴ بُنَاةُ السَّوْءِ آوَشَكَ أن يَضِيعَا [٥]

وقال آخر :

دَاوِ ابنَ عَمِّ السُّوءِ بالنَّأْيِ والنِّقَى ∴ كَفَى بِالنِّقَى والنَّأْيِ عَنهُ مُدَوِيَا[٦]

ثم خُصَّ استعمال السُّوءِ في بعض السياقات اللغوية – للدلالة على داء البرص ، وهو بياض يقع في الجلد معروف [٧]، وأصل ذلك

---

(١) ينظر العين [س و ء] .
(٢) البيت من الوافر ، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٧/١ وديوان الحماسة ٨/١ وتاج العروس [س و ء] .
(٣) الروم [١٠] .
(٤) ينظر مقاييس اللغة وتاج العروس [س و ء] .
(٥) البيتان من الوافر، وهما في ديوانه ص٣٩ والأغاني١٢/٧٥ .
(٦) البيت من الطويل لبعض بني سد ، وهو في ديوان الحماسة ١٠٤/١ والتذكرة لابن حمدون ٥٢/٢ ، ومعنى قوله : داو ، أي عالج ، والنأي : البعد .
(٧) ينظر جمهرة اللغة ١٣٦/١ .

الاستعمال كان عن طريق الكناية والمجاز فالعرب تكني عن البرص بالسوء ، كما تكني عن العورة بالسوأة ؛ لأن الطباع عندهم تنفر عن التصريح به والأسماع تمجه [١]. من ذلك قولهم : ما أنكرك من سوء أي : ليس إنكاري لك عن برص حدث بك فغير صورتك ، ولكني لا أثبتك [٢]. ومنه قول الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) في دعائه : " (... ولا مضروبا على عروقي بسُوء) ، أي : لا أُبْرَصُ [٣].

فدلالة السوء على البرص يعد من قبيل التخصيص الدلالي ، أو التضييق في المعنى ، وهو مظهر من مظاهر التطور ، نشأ عن طريق الكناية ؛ لدخول البرص في معنى القبح المعبر عنه بلفظ السُّوء .

دلالة اللفظ في التفسير :

وعلى دلالة التخصيص جاء تفسير قوله (تعالى) ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي : تخرج نقيَّة شديدة البياض من غير برص كما ذكر ذلك ابن اليزيدي ، وأثر عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقد سلف ذكره [٤].

---

(١) ينظر أساس البلاغة وتاج العروس [س و أ] و أبوتراب الغنوي في كتابه الاعتقاب لمحمود عبد الرحيم الصافي ص ٣٦٠ .

(٢) ينظر المفضل لأبي سلمة ص ١٠وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٥/١١.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١/ ٨٥ .

(٤) وينظر – أيضًا – مجاز القرآن ٧٥/١ وتفسير القرآن للسمعاني ٣٢٧/٢ .

وقوله (من غير سوء) يسمى عند أهل البيان بـــ "الاحتراس " وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم مَنْ يتوهم غير المراد ، وذلـــك أن البياض قد يراد به البَرَص والبهق ، فأتى بقوله : (من غير سوء) نفيًا لذلك ، كأنه قال : تخرج بيضاء غير برصاء [١].

ب- عَرَش :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَـــوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُـــونَ ﴾ [٢] قال أبو عبد الرحمن فـــي قولـــه (يعرشون) : " يبنون ، والعرش في هذا الموضع البناء " [٣]. يـــدل هذا التفسير على أن لفظ [عرش] جاء في القرآن بمعانٍ متنوعة ، خصص منها في هذا الموضع الدلالة على البناء .

اللفظ بين اللغة والتفسير :

قال ابن فارس : " العين والراء والشين أصلٌ صحيح واحد ، يدلُّ على ارتفاعٍ في شيء مبنيّ، ثم يستعارُ في غير ذلك "[٤] . وقال الراغب الأصفهاني : " العرش في الأصل شيء مســـقَّف ، وجمعـــه عروش ، ومنه قيل عرَشت الكرم وعرَّشته : إذا جعلت لـــه كهيئـــة سقف وقد يقال لذلك : المعرَّش "[٥].

---

(١) ينظر معاني القـــرآن للفراء ١/ ١٤٢ واللبـــاب في علوم الكتاب ٢١٩/١٣ وأبو تراب الغنوي في كتابه الاعتقاب ص ٣٦٠ .
(٢) الأعراف [١٣٧] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٥ .
(٤) مقاييس اللغة [ع ر ش] .
(٥) المفردات في غريب القرآن ٣٢٩

فمن هذين القولين يتبين أن مادة [ع رش] تفيد في اللغة الدلالة على هيئة شيء مرتفع مسقوف على وجه العموم ، ثم تتفرع منه معان خاصة ، لها علاقة بهذا المعنى .

من ذلك العَرْش والعَريش : خَيمة أو مِظَلَّة من جريد أو خشب ، يُجعل فوقه الثُّمام ، والجمع عُرُش [١]. قال الأزهري : " قد رأيت العرب تسمى المَظَال التي تُسَوّى من جريد النَّخل ويُطرَح فوقها الثُّمامُ عروشا، والواحد منها عريش، ثم يُجمَع عُرُشاً، ثم عروشاً جمعُ الجمع "[٢].

ولا يزال هذا لاستعمال سائدًا في أرياف وقرى صعيد مصر ، يقولون لتلك المظلة : عريشة – بالتاء – وأكثر ما تكون من القصب. ومن ذلك العرْش : وهو ما عُرِّش للكَرْم [العنب] من عِيدان تُجْعَل كهيئة السقف فيوضع عليها قُضبان الكرم ، يقال عَرَش الكرم يَعْرِشُه عَرْشًا وعَرَّشه تعريشًا : عمل له عرشًا ورفع دواليه على الخشب ليمتدّ عليه . والعريش : شِبه الهَوْدج وليس به يُتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها سُمي بذلك ؛ لأنه شبيه في الهيئة بعرش الكرم [٣]. وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [٤].

---

(١) ينظر الصحاح والمصباح المنير وتاج العروس [ع ر ش] ، والثمام : نبت ضعيف له خُوص أو شبيه بالخوص ، وربما حُشي به وسُدّ به خَصاص البيوت تتخذ منه المكانس .
(٢) تهذيب اللغة [ع ر ش] .
(٣) ينظر الصحاح والمفردات للراغب وتاج العروس [ع ر ش] .
(٤) الأنعام [١٤١] .

قال الضحاك : معروشات وغير معروشات :الكَرْم خاصَّة ،منها ما عُرِّش ومنها ما لم يُعرَّش[١].

وعَرْش البئر : طَيُّها بالخشب بعد أن يُطوى أسفلُها بالحجارة قدر قامة ، فذلك الخشب هو العرش ، والجمع عروش ، ويقال : بئر معروشة ، فإذا طويت بالحجارة من أعلاها إلى أسفلها فهي بئر مطوية [٢].

قال أبو عمرو الشيباني : " المُعرَّش : إذا حفرتَ في مكانٍ ثم دنوتَ الماء وخفتَ أن ينهال عليك تطويها بالخشب حتى تبلغ رأسها ثم تحفرها بَعْدُ. وقال [الشاعر]:

آلاَ لا أرَى مـاءَ المُعَـرَّشِ مُنسِـياً ∴ قلوباً إلَى أحواضِ بَقعاءَ نُزَّعَا "[٣]

والعَرْش – أيضًا : الخشب الذي يقوم عليه المستقي ، وهو بناء يبنى من خشب على رأس البئر يكون ظِلالاً ؛ فإذا نزعت القوائم سقطت العروش ويقال له المثَابة [٤]، قال القُطامِيُّ :

ومـا لِمثابـاتِ العُـرُوشِ بَقِيَّـةٌ ∴ إذا استُلَّ من تَحتِ العُرُوشِ الدَّعائِمُ[٥]

والعَرْش في كلام العرب : سرير الملك ومجلس السلطان ؛ سُمِّي بذلك اعتبارًا بعلوه ، وعليه جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَرَفَعَ

---

(١) الكشف والبيان ١٩٧/٤ .
(٢) ينظر الصحاح واللسان [ع ر ش] .
(٣) الجيم ٣٠١/٢ و البيت من الطويل ولم أجده بهذه الرواية في غير الجيم ، وبقعاء : موضع .
(٤) ينظر الصحاح وتاج العروس [ع ر ش] .
(٥) من الطويل وهو في ديوانه ص٣٧ و في تهذيب اللغة والمحكم [ع ر ش] ، والدعائم : القوائم .

أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[١] وقوله ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

ويكنى به عن العز والسلطان والمملكة فيقال : ثُلَّ عَرْش فلان ، أي وَهَى أمره وذهب عِزُّه [٣]،قال زهير بن أبي سلمى :

تَدارَكْتُما الأحلافَ قد ثَلَّ عَرْشُها ∴ وذبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامها النعلُ[٤]

والعَرْش في كلام العرب – أيضًا – سقف البيت ، وجمعه عروش ؛ لأنه سقف مرتفع ومنه الحديث : (فجاءت حُمَّرَةٌ فجعَلَت تُعَرِّش) ، التَّعْرِيشُ : أن تَرْتَفع وتُظَلِّل بجناحَيْها على مَن تَحْتَها [٥]. وفي حديث النفخ في الصور ، قال (ﷺ) : (كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّق بِالْعَرْشِ تُرَجِّحُهُ الأَرْوَاحُ)[٦] ، ومنه قيل لرئيس القوم والمدبر لأمرهم عَرْش على التشبيه بعرش البيت [٧]وبه فُسِّر قول الخنساء :

كانَ أَبُو حَسَّانَ عَرْشاً خَوَى ∴ مِمَّا بَنَاهُ الدَّهْرُ دَانٍ ظَلِيلُ[٨]

---

(١) يوسف [١٠٠] .
(٢) الشعراء [٨٣] .
(٣) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمفردات للراغب [ع ر ش] .
(٤) من الطويل ، وهو في ديوانه ص٥٠ وتهذيب اللغة[ع ر ش] .
(٥) ينظر مسند ابن أبي شيبه ٢٠٨/١والنهاية لابن الأثير [ع ر ش]، والحمرة : طائر صغير كالعصفور .
(٦) مسند إسحاق بن راهويه ٨٤/١ وإتحاف الخيرة المهرة لأبي بكر البوصيري ١٤٨/٨ .
(٧) تاج العروس [ع ر ش] .
(٨) البيت في ديوانها ص٨٨ والعين [ع ر ش] وتهذيب اللغة [خ و ى] ، وخوى : وقع وتهدم .

أَيْ كانَ يَستظِلُّنَا بتَدْبيرِه ، وعلى هذا المعنى جاء قوله(تعالى) ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (١)، أي : ساقطة على سُقُفِها (٢).

والعرش : البيت والمنزل أو القصر ؛ لأنه بناء مرتفع مسقوف يقال : عَرَش البيت يَعْرِشُهُ عَرْشًا وعُرُشًا : بناه ، ومنه قول سعد بن أبي وقاص (ﷺ) حين بلغه أن معاوية (ﷺ) ينهى عن متعة الحج فقال : (فَعَلْنَاهَا وَهَذَا كَافِرٌ بِالْعُرُشِ يَعْنِي مُعَاوِيَةَ)(٣)، أي : وهو مقيم بعروش مكة ، وهي بيوتها في حال كفره (٤).

وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ ، أي : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، أخرجناهم من ذلك كله وخربنا جميع ذلك ، وهو المأثور عن ابن عباس ومجاهد (٥)، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم .

فتفسير لفظ "عرش " بالبناء في هذه الآية دون غيره من المعاني اللغوية المتقدمة ، يعد إفرادًا وتخصيصًا لدلالة هذا اللفظ ؛ ولأن لفظ " دَمَّر " قبله يفيد في اللغة استئصال الهلاك .

---

(١) البقرة [٢٥٩] .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٣ .
(٣) صحيح مسلم ٨١/٧ ومسند أحمد ١٣٨/٣ .
(٤) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ع ر ش] .
(٥) ينظر جامع البيان ٧٨/١٣ والكشف والبيان ٢٧٣/٤ .

جـ – العفو :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَالِكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] ، قال ابن اليزيدي : " العفو في التفسير : ما فضل عن أهلك ، وقال بعضهم : هو ما أطقته من غير أن تجهد نفسك " [٢].

فهو يقتصر في بيان معنى العفو – هنا – على دلالته في التفسير ، دون أن يتعرض لدلالته في اللغة ، والسبب في ذلك تعدد دلالات اللفظ في اللغة بما لا يسمح ومقام الاختصار والإيجاز الذي سار عليه في هذا الكتاب ؛ ولتفرع معنى العفو في هذه الآية من دلالته في اللغة .

دلالة اللفظ في اللغة :

المعنى الأصلي لمادة [ع ف و] وما اشتق منها هو الترك ، ثم يتفرع منه معنيان آخران ، أحدهما : الزيادة أو الكثرة ، والثاني : القصد إلى شيء ، وعلى هذه المعاني الثلاثة يدور استعمال الكلمة في اللغة [٣].

فمن معنى ترك الشيء قول بعض العرب : عفا ظهر البعير ، إذا تُرك لا يركب وأعفيته أنا ، قال الشاعر :

---

(١) البقرة [٢١٩] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٦ .
(٣) ينظر مقاييس اللغة وتاج العروس [ع ف و] .

هـلاّ سَـألت إذا الكَواكِـبُ أخلَفَـتْ ∴ وعَفَـتْ مَطِيَّـة طالـبِ الأنسـاب [١]

يقول : لم يجد أحدًا كريمًا يُرحل إليه ، فعطّل مطيَّتـه وتركهـا حتى سمنت وكثر وبرها [٢]. والعُفاوة : ما يُترك من المرق في أسفل القدر ، يرده مستعير القدر معها ، قال عوف بن الأحوص الباهليّ :

فَلاَ تَسْأَلِينِي واسْأَلِي عـن خَلِيقَتِـي ∴ إِذَا رَدَّ عَـافِي القِـدْرِ مَـنْ يَسْـتَعِيرُهَا [٣]

والعَفْو : الأرض الغُفْل التي لم تُوطأ وليست بها آثار [٤]، قـال الأخطل :

قَبيلةٌ كشِراكِ النَّعْلِ دارِجةٌ ** إنْ يَهْبِطُوا العَفْوَ لم يُوجَدْ لهم أَثَرُ[٥].

وعلى هذه الدلالة جاء قول الله (تعـالى) : ﴿ فَنِصْـفُ مَـا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَو يَعْفُو الّذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النكَاحِ ﴾ [٦]، معنـاه : إلا أن يعفو النساء ، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وهو الزوج أو الولي إذا كان أبًا ، ومعنى عفو المرأة أن تعفو عـن النصـف لهـا

---

(١) البيت من الكامل ، وهو فـي المحكـم واللسـان [ع ف و] ، وإخلاف الكواكب : ذهابها .

(٢) المحكم [ع ف و] .

(٣) البيت من الطويل وهو في المفضليات للضبي ص ٣٠ ومنتهـى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك ١/١٢٥

(٤) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [ع ف و] .

(٥) البيت من البسيط في ديوانه ص ١٩٢ والصـحاح [ع ف و] ، وشراك النعل : وجهه ، ودارجـة : باليـة ، والعفـو : الأرض الصعبة ، يصفهم بالقلة والذل .

(٦) البقرة [٢٣٧] .

فتتركه للزوج ، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل [١].وعليها – أيضًا – جاء قول الرسول (ﷺ) :

(قَد عَفَونا لَكُم عَنِ الخَيلِ والرَّقِيق فَهاتُوا رُبع العُشُــورِ)[٢] ، معناه : تركت أن أوجب عليكم الصدقة في الخيل والرقيق [٣].

ومن معنى الترك –أيضًا – قولهم : عَفا المنزل يَعْفُــو عَفْــوًا وعُفُوًّا وعفاءً ، إذا درس وانمحت آثاره ، وعفته الريح ؛ وذلك أنــه شيء يترك فلا يتعهد ولا يُنزل ، فيخفى على مرِّ الأيام . قال لبيد :

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ** بِمِنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها [٤].

وقال زهير بن أبي سُلمى :

تَحَمَّلَ أَهلُها مِنها فَبانُوا ** على آثارِ مَن ذَهَبَ العَفاءُ [٥].

ومنه قولهم : عفا الله عنك ، معناه : درس الله ذنوبك ومحاها عنك ،على التشبيه للمعنوي بالمحسّ وعفو الله عن خلقــه :تركــه

---

(١) ينظر العين والصحاح والمحكم][ع ف و] .
(٢) رواه على (كرم الله وجهه) ينظر الأموال لأبــي عبيــد ٦٩/٣ والدر المنثور للسيوطي ١٦/٣ .
(٣) مقاييس اللغة [ع ف و] .
(٤) البيت من الكامل ، وهو في ديوانه ص١٠٧ والزاهر في معاني كلمات الناس ٦٣/١ ، ومنى : جبل أحمر عظيم ، وتأبد : توحش ، والغول : ما انهبط من الأرض ، والرجام : الحجارة .
(٥) من الوافر في ديوانه ص١١ ومقاييس اللغة [ع ف و] والعفاء : التراب.

إياهم فلا يعاقبهم[١]. قال الخليل : " العفو : تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُو والله العَفُوُّ الغَفور " [٢].

ثم يتفرع من معنى الترك معنى الزيادة والكثرة أو الفضل ، وأصل ذلك فيما ينمو ويزداد كالشعر والصوف والوبر والنبات ، إذا تُرك حلقه أو جزه ، يقال : قد عفا الشَّعَر يعفو عفوًا ، إذا كثُر وقد عفوته أعفوه عفوًا ، وأعفيته أعفيه إعفاءً : إذا كثَّرته ، ومنه الحديث : (أمر النبي (ﷺ) أن تُحفْى الشَّوارب وتُعفْى اللِّحَى)[٣]، معناه : أن تكثر وتوفر . وقد عفا القوم يعفون عفوًا ، إذا كثروا ، قال (تعالى) ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ [٤]، معناه : حتى كثروا . والعِفاء : ما كثر من الوَبَر والريش ، يقال : ناقة ذات عِفاء ، أي : كثيرة الوبر طويلته ، قد كاد ينسل للسقوط ، وسُمِّي عِفاءً ؛ لأنه تُرك من المَرْط والجزّ[٥] ، قال الشاعر :

أُجُدٌ مُؤَثَّقةٌ كأنَّ عِفاءها ** سِقْطانِ من كَنَفَيْ ظَليمٍ جافِلِ[٦] .

---

(١) ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٧١/١ ومقاييس اللغة والنهاية لابن الأثير [ع ف و] .
(٢) العين [ع ف و] .
(٣) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ١٤٧/١ والفائق للزمخشري ٢٩٤/١.
(٤) الأعراف من الآية [٩٥] .
(٥) ينظر العين والمقاييس [ع ف و] .
(٦) البيت من البسيط وهو في العين ومقاييس اللغة [ع ف و] ، والأجد : الناقة الموثقة الخَلْق ، والسقطان : طرفي الجناحين ، والظليم : ذكر النعام وجافل : شارد نافر .

وعَفَت الأرض : غطاها النبات ، والعفو من الماء : ما فضل عن شاربه وأُخِذَ بلا كلفة ولا مزاحمة ، وعفوا المال : ما فضل عن النفقة ، ويقال : عفا عليه في العلم ، إذا زاد عليه فيه على التشبيه والاستعارة [١]. وعلى هذا المعنى جاء قوله (تعالى) : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [٢]، أي الفضل وما أتى بلا مسألة ولا كلفة ، والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقصِ عليهم فيستقصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء[٣]،وهذا من روائع الانتقال بالمجاز في كلام العرب كقول الشاعر :

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتِي** ولا تَنْطِقي في سَوْرَتِي حينَ أَغْضَبُ[٤].

ومن <u>معنى قصد الشيء وطلبه</u> ، قولهم : عفا الرجلُ الرجلَ واعتفاه : قصده متناولاً ما عنده ، قال الخليل : " العَفْوُ : المعرُوف والعُفاةُ : طُلاّبُ المعروف وهم المُعْتَفُونَ ، واعتَفَيتُ فُلاناً : طَلَبتُ مَعروفَه ، والعافيةُ من الدَّوابِّ والطَّيْر : طُلاَّب الرزقِ اسمٌ لهم جامع وجاء في الحديث : مَنْ غَرَسَ شجرةً فما أكَلَتِ العافيةُ منها كُتِبَتْ له صَدَقةً "[٥] . قال الأعشى :

---

(١) ينظر الصحاح وتاج العروس [ع ف و] .
(٢) الأعراف [١٩٩] .
(٣) ينظر زاد المسير٣/ ٣٠٨ .
(٤) البيت من الطويل ، وهو لأسماء بن خارجة الفزاري ، وقيل لعامر بن عمرو من بني البكاء ، في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٠/ ٣٧٧ والحماسة البصرية لأبي علي بن الفرج البصري ١٣٨/١ .
(٥) العين [ع ف و] ، والحديث في النهاية لابن الأثير[غ ف ى] .

يَطُـــوفُ العُفـــاةُ بأبوابِـــهِ ∴ كطَـوْفِ النَّصـارى بِبَيْـتِ الـوَثَن [١]

وقال الآخر في العافية :

لَعَـــرَّ عَلَينـــا ونِعْـــمَ الفَتَـــى ∴ مَصِـيرُك يـا عَمْـرُو والعافِيـهْ [٢]

يعني إن قُتِلَ فصار أكلة للطير والضباع .

والعافي : الرائد أو الرواد ؛ لأن ذلك كله قصد وطلب ، يقال : ما أكثرَ عافية هذا الماء ، أي واردته من أنواع شتى ، قال أبو محمد الفقعسي :

فصَبَّحَت بُغَيْبِـغاً ثُغادِيه
ذَا حِبَبٍ تَخْضَرُّ كَفُّ عافِيه [٣] .

وإبل عافية : إذا وردت على كلأٍ قد وطئته الناس ، فإذا رعته لن ترض به فرفعت رءوسها عنه وطلبت غيره [٤].

إذًا فدلالة العفو على الطلب دلالة متفرعة من معنى التـــرك – أيضًا – ؛ لأن الزائد والفاضل عن الحاجة من متروك المـــال الـــذي يجود به مالكه ، قال ابن فارس : " يقال: اعتفيتُ فلاناً، إذا طلبـــتُ معروفه وفَضْله. فإنْ كان المعروف هو العَفو فالأصلان يرجعان إلـــى معنىً، وهو الترك، وذلك أنّ العَفو هو الذي يُسمح به ولا يُحْتَجَن ولا يُمسَك عليه " [٥].

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو في ديوانه ص٢٠٩ والزاهـــر لابـــن الأنباري ٣٧٢/١.

(٢) البيت من المتقارب ، وهو في المحكم واللسان [ع ف و] .

(٣) من الرجز، وهما في الجيم لأبـــي عمـــرو الشـــيباني والمحكـــم [ب غ ب غ] ، والبغيبغ : البئر القريبة المنزع الكثيرة المـــاء ، والحَبب : نفاخات الماء جمع حَبابة .

(٤) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [ع ف و] .

(٥) مقاييس اللغة [ع ف و] ، ويحتجن من قولهم : احتجن المال ، إذا خصه لنفسه واستبد به .

فدلالة العفو على الطلب يعد المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل التطور والاستعمال في اللغة ، ومرجع الجميع إلى معنى الترك ، وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى لقول بعضهم : عفا يعفوا : إذا أعطى ، وإذا ترك حقًا ، وعفا : إذا كثر ، وإذا قلَّ ، على أنه من الأضداد ، وكذلك عفا : إذا ظهر ، وإذا خفي ، أو درس[١] ، قال ابن فارس : " فهذا معنى العفو، وإليه يرجع كلُّ ما أشبهه. وقول القائل: عفا، درس، وعفا : كثُر –وهو من الأضداد– ليس بشيء ، إنّما المعنى ما ذكرناه، فإذا تُرِك ولم يُتعهَّد حتّى خَفِيَ على مَرّ الدهر فقد عفا ، وإذا تُرِك فلم يُقطَع ولم يُجَزَّ فقد عفا ، والأصل فيه كلِّه التَّرك ..."[٢] .

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التفسير في معنى العفو من هذه الآية ، فقال عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب وقتادة وغيرهم : هو ما فضل من المال عن العيال ، وهي رواية مقسم عن ابن عباس .

وعن الحسن : هو ألا تجهد مالك في النفقة ثم تقعد تسأل الناس [٣].

وقال مجاهد: التصدق عن ظهر غنى ، وذلك أن يتصدق وهو غني ولا يتصدق وهو فقير ؛ فيبقى كلاً على الناس ، وهو معنى قول الرسول (ﷺ) : (خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى) [٤].

---

(١) ينظر جمهرة اللغة ٢/ ٢٦ وتاج العروس [ع ف و] .
(٢) مقاييس اللغة [ع ف و] .
(٣) ينظر جامع البيان ٣٣٧/٤ والكشف والبيان ١٥٢/٢ .
(٤) رواه أبو هريرة ، وهو في صحيح البخاري ٥١٨/٢ والسنن الصغرى للنسائي ٦٦/٥ .

وعن عمرو بن دينار العفو : الوسط من النفقة ، ما لم يكن إسرافًا ولا إقتارًا .

وقال طاووس العفو : اليسير من كل شيء [١].

وهذه الأقوال – على تعددها – لم تخرج عما ذكره ابن اليزيدي، وهي مأخوذة من العفو بمعنى الزيادة والفضل في اللغة ؛ لأن الفضل مما لا يتكلفه المال ولا يشق على النفس إنفاقه ، فهو مما يتيسر– في الغالب – بذله [٢].

قال ابن عطية (تـ ٥٤٢هـ) : " العفو : ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله ونحو هذا هي عبارة المفسرين ، وهو مأخوذ من عفا الشيء : إذا كثر ، فالمعنى : أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة "[٣] .

ويلحظ من خلال الربط بين الدلالتين التفسيرية واللغوية أن العفو جاء في هذه الآية على معنى الزيادة دون معنى الترك أو القصد وهذا يعد تخصيصًا وإفرادًا لمعنى اللفظ في سياق الآية ، كما يلحظ أن هذا المعنى تفرع من معنى الترك عن طريق التطور وكثرة الاستعمال .

---

(١) ينظر جامع البيان ٣٣٧/٤ والكشف والبيان ١٥٢/٢وتفسير القرآن للسمعاني ٢٢٠/١ .

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي ١/ ٨٩٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٨١/١ .

المبحث السادس

دلالة التعميم

أو التعميم الدلالي ، هو مظهر آخر من مظاهر التطور الدلالي يسير عكس اتجاه التخصيص ، فهو يعني : تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي ، و به تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني ، أكثر مما كانت تدل عليه من قبل ، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول [١]. أو هي : أن يستعمل اللفظ في معنى أعم وأوسع من معناه القديم .

ويحدث ذلك عندما تستعمل الكلمة الدالة على فرد أو على نوع خاص من أفراد الجنس أو أنواعه للدلالة على أفراد كثيرين ، أو على الجنس كله [٢] .

ومن أمثلة تلك الدلالة في اللغة : لفظ " الورطة " بمعنى الهلاك أو الشدة ، وأصل معناها : الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص ، ثم استخدمت في كل شدة [٣].

ومنها لفظ " العقيلة " في الأصل : هي المرأة الكريمة النفيسة ، ثم استعملت في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني ،

---

(١) ينظر علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص ٧٦.

(٢) ينظر لحن العامة د/ عبد العزيز مطر ص ٢٨٢ وفي الدلالة اللغوية ص ١١٤

(٣) ينظر المصباح المنير [و ر ط] .

فاستخدم في عقائل الكلام ، وأطلق على الكرائم من الإبـــل ، وعلـــى درر البحر وكرائم مال الإنسان[١] .

ومن أمثلة ما عُمِّمت دلالته من ألفاظ القرآن الكريم في ضـــوء تفسير ابن اليزيدى ما يلي :

أ – الزخرف :

في قول الله (تعالى): ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [٢]. قال أبو عبد الرحمن : " كل شيء حسنته وهو باطل ، فهو زخرف " .

فظاهر كلام المفسر أن لفظ الزخرف يفيد في اللغة التعميم .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

قال الجوهري " الزُّخْرف ُ : الذَّهَبُ ثُمَّ يُشبَّه به كلُ مُموَّهٍ مزوَّر . والمُزَخْرَف : المزيَّن . وزَخارِفُ الماء : طرائقُهُ " [٣].

وقال ابن سيده : " الزُخرف – بالضم – الذهب ... هـــذا هـــو الأصل ، ثم سُمِّي كل زينة زُخرفًا ، شُبه كل مموه مُزور به " [٤].

فمن هذين القولين يتبين أن الزخرف استعمل اســـمًا للـــذهب خاصة بحسب الوضع الأصلي له في اللغة ، ثم عُممت دلالتـــه عـــن

---

(١) ينظر للسان [ع ق ل] .
(٢) الأنعام [١١٣] .
(٣) الصحاح [ز خ ر ف] .
(٤) المحكم وتاج العروس [ز خ ر ف]

طريق التطور بالنقل أو المجاز حتى صار يطلق على كل مزين مموه ؛ لعلاقة المشابهة لأن الذهب ينقش ويتخذ للزينة .

فمن استعمال الزخرف في الذهب خاصة قوله (تعالى) : ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ . قال مجاهد : كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأينا في قراءة عبد الله : (أو يكون لك بيت من ذهب)[١] . وفي الحديث : " إنه (ﷺ) لم يَدْخُل الكعْبة حتى أمَرَ بالزُّخْرُف فنُحِّىَ ، هو نُقُوشٌ وتَصاويرُ بالذهب كانت زُيِّنَت بها الكَعْبة أمرَ بها فحُكَّت "[٢]. ومن استعمال الزخرف في مطلق الزينة ، وهي دلالة التعميم قولهم لزينة النبات : زخرف ، وهو ألوان نباتها وزهورها من بين أحمر وأصفر وأبيض [٣]، وعليه جاء قوله (تعالى): ﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ [٤].

والزخارف : تكسر الماء إذا جرى قال أوس بن حجر :

تَذَكَّرِ عَيْنًا مِنْ غُمَازَةَ مَاؤُهَا ∴ لَهُ حَدَبٌ تَسْتَنُّ فِيهِ الزَّخَارِفُ [٥]

وزخرفت البيت ، إذا نجدته وزينته بالنقوش والتصاوير، قال العجاج:

يَا صَاحِ مَا هَاجَ العُيُونَ الذُّرَّفَا ∴ مِنْ طَلَلٍ أَمْسَى تَخَالُ المُصْحَفَا

رُسُومَهُ والمُذْهَبَ المُزَخْرَفَا[٦] .

---

(١) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ١٠١/٤ ومعاني القرآن للنحاس ١٩٥/٤ .

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير [ز خ ر ف] .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والمحكم وتاج العروس [ز خ ر ف] .

(٤) يونس [٢٤] .

(٥) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٦٩ وجمهرة اللغة ١٤٧/٢، وغمازة : عين ماء لبني تميم .

(٦) الأبيات من الرجز ، وهو في ديوانه٣٨٦ والعباب للصاغاني [ز خ ر ف] .

ويلحظ أن التعميم فيما سبق من أمثلة جاء من الانتقال من المحس إلى محس مثله ، ومن الانتقال من المحس إلى المعنوي قولهم : زخرفتُ الكلامَ ، إذا ألّفته وحَسَّنْتُهُ بترقيش الكذب .[١] وعلى هذا المعنى جاء قوله (تعالى) : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، أي : تزيين الباطل بالألسنة وهو المأثور عن عكرمة والسدي ومجاهد ، وقال ابن عباس : حسن بعضهم لبعض القول ؛ ليتبعوهم في فتنتهم ،كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين [٢].

ب ـ الغَوْل :

قال المفسر في صفة خمر الجنة من قول الله(تعالى) : ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾[٣] : " لا تغتالُ عقولَهُم ولا تغولهم بما يكرهون ، وقال المفسرون : لا تشتكي بطونهم " [٤].

فهو يذكر للغَوْل معنيين ، وينسب أحدهما إلى المفسرين ، دون ذكر العلاقة أو الصلة الدلالية بينهما ، وما نسبه إلى المفسرين هو المأثور عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد [٥].

---

(١) ينظر جمهرة اللغة ١٤٧/٢ وتهذيب اللغة [ز خ ر ف] .
(٢) ينظر تفسير مجاهد ٢٢١/٢ وجامع البيان ٥٥/١٢ .
(٣) الصافات [٤٧] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ١٥٠ .
(٥) ينظر تفسير مجاهد ٥٤١/٢ وتفسير سفيان الثوري ص٢٥٢ وجامع البيان ٣٩/٢١ .

دلالة للفظ في اللغة :

الغَوْل : فساد يلحق في خفاء ، يقال : غال الشيءُ فلانًا يَغُوله غَوْلاً واغتاله اغتيالاً ، إذا أفسد عليه أمره في خُفيــة ، أو دبَّ فــي هلاكه وأخذه من حيث لم يَدْرِ ، ومنه الغُول والغِيلة ، وهو القتل في خُفية من حيث لا يعلم المقتول ولا يشعر [١]، قال الشمردل بن شريك اليربوعي :

فأصبح بيتُ الهجرِ قد حالَ دونَـهُ ∴ وغال امرءاً ما كانَ تُخشَى غوائِلُه [٢]

أي أوصل إليه الشّرَّ أو القتل من حيث لا يعلم فيستعد .

ثم عُممت دلالة الغَوْل وما اشتق منه بفعل التطــور التــاريخي وكثرة الاستعمال ، فأصبح يطلق على كل شيء اغتاله شيءٌ، فذهب به وأهلكه ، من ذلك الغَوْل : بُعْد المفــازة [الصــحراء] ، يقــال : أرض ذات غَوْل ، وما أبعد غَوْل هذه الأرض ، وإنها لبعيدة الغَوْل ، أي : بعيدة لا ينقطع السير فيها، وإن كانت في مرأى العين قريبــة ، وإنما سُمِّي بُعْد الأرض غَوْلاً ؛ لأنه يغتال من يمرّ بــه أي : يضــلله فيذهب به ويهلكه ، مأخوذ من قول العرب : قد تغولت الأرض بفلان : يعني ضللته فأهلكته و قد غالتــــهم تلــك الأرض ، إذا هلكــوا ، واغتالتهم مثله [٣]، قال ذو الرمة :

---

(١) ينظر العين [غ و ل] وجمهرة اللغة ٢/ ٤١ والزاهــر لابــن الأنباري ٢٣٣/٢ وتهذيب اللغة [غ و ل] .

(٢) من الطويل وهو في الأمالي لليزيدي ص ٨ والأغــاني لأبــي الفرج الأصفهاني ٣٨٠/١٣ .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والصحاح وتاج العروس [غ و ل] .

ورُبَّ مَفــــازَةٍ قَـــــذَفٍ جَمُـــــوحِ ∴ تَغُــولُ مُنَحِّــبَ القَــرَبِ اغتِيَــالا [١]

أو سمي بُعد الأرض غَوْلاً ؛ لأنها تغتال المشي فلا يستبين فيها سَيْر القوم من بُعدها وسعتها ، فيكون البعد سببًا في المشــقة التــي تُفضي إلى هلاك من يسير فيها [٢]، وعليه جاء قول العجاج :

وبَلْــدَةٍ بَعِيــدَةِ النِّيَــاطِ
مَجْهولَةٍ تَغْتالُ خَطوَ الخَاطِي[٣].

والغُول – بضم الغين – المَنِيَّة ، قال الأعشى :

فَمــا مِيتَــةٌ إن مُتُّهــا غَــيرَ عــاجِزٍ ∴ بعارٍ إذا مــا غَالَــتِ الــنَّفسَ غُولُهــا [٤]

والغضب غُول الحلم ، لأنه يُهلكه ويذهب به ، يقال : أيَّةُ غُولٍ أَغْوَلُ من الغضب !.والغوائل : خروق في الحوض ، واحدتها غائلة ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنها تُذهب الماء وتدب في نفــاده وهلاكــه [٥]، قــال الفرزدق :

يــا قَــيسُ إنَّكُــمُ وَجَــدتُمْ حَوضَــكُمْ ∴ غَــالَ القِــرى بمُــتَلِّمٍ مَفجُــورِ

---

(١) البيت من الوافر، وهو في ديوانه ص١٥٩ وتهذيب اللغة[غ و ل] ، وقذف : بعيدة ، وتغول : تغتال ، والمنحب : المجد في السير ، والقرب : سُرى الليل لِورْد الغد ، والجموح : السريع .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [غ و ل] .

(٣) البيتان من الرجز في ديوانه ص ٢٠٤ وتهذيب اللغة [غ و ل] ، ونياط المفازة : بعد طريقها .

(٤)البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانــه ص١٣٦ والعــين [غ و ل] ، وغول النفس : ما يغتالها .

(٥) ينظر العين وتهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

ذَهَبَتْ غَوائِلُهُ بِما أَفرَغْتُمُ ∴ بِرِشاءِ ضَيِّقَةِ الفُروغِ قَصيرِ[1]

والغُول : ساحرة الجن والجمع غِيلان ، وقيل الغُول : الذكر من الجن والأنثى منه سعلاة ، سميت غُول ؛ لأنها تتغول في الفلوات وتتراءى للناس وتتلوَّن لهم ألوانًا فتضلهم عن الطريق وتهلكهم ، أو تفتك بهم وتوصل الشرَّ إليهم[2] ، قال الشاعر :

هِيَ الغُولُ والسِّعلاةُ حَلقيَ مِنهما ∴ مُخَدَّشُ ما بَينَ التَّراقي مُكَدَّحُ[3]

والغُول : الحيَّة ، وجمعها أغوال ، قال امرؤ القيس :

أَيَقتُلُني والمَشرَفِيُّ مُضاجِعي ∴ ومَسنونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أغوالِ ؟[4]

أراد : كأنياب الحيات ، وإنما سميت الحية غُولاً ؛ لأن سُمَّها يدبّ في هلاك اللديغ ويقتله .ومن معنى الهلاك وذهاب الشيء قيل للصداع والسُّكْر غَول – بالفتح – لأنهما من غوائل النفس وأسباب هلاكها ، ولأن السكر يذهب بالعقل [5]، قال الشاعر في الغَول بمعنى السكر:

---

(١) البيتان من الكامل ، ولم أجدهما في ديوانه ، وهما في والمحكم [غ و ل] ، وغوائل الحوض : ما انخرق منه وانثقب ، فأذهب الماء ، والقِري : جبي الماء في الحوض .

(٢) ينظر الزاهر لابن الأنباري ٢٣٣/٢ وتهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لجران العود ولم أجده في ديوانه وهو في الزاهر لابن الأنباري ٢٢٣/٢وتهذيب اللغة [س ع ل]، ومكدح : مخدش ، وتكدح الجلد : تخدش .

(٤) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص١٣٧ وجمهرة اللغة ٤١/٢، والمشرفي : السيف ، ومسنونة زرق : نصال الرماح .

(٥) ينظر تهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

وَمَـا زَالَـتِ الكَـأسُ تَغْتَالُنَـا ∴ وَتَـذْهَبُ بِـالأَوَّلِ الأَوَّلِ [١]

دلالة اللفظ في التفسير :

قد فُسِّرَ الغَول في هذه الآية بتفسيرات عدة لا تخرج عن المعنى اللغوي العام ، وهو مطلق الهلاك والأذى . فقد روي عن الحسن : (لا غول فيها) أي : ليس في خمر الجنة صداع ، استنادًا إلى قوله (تعالى) : ﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ﴾ [٢]. وقال الكلبي : الغَول الإثم ، ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾ [٣]. وقال بعضهم : ليس فيها أذىً فتشتكي منه بطونهم ، وهو المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد – كما تقدم – . وقيل : لا تغتال الخمر عقولهم فتذهب بها ، وهو المروي عن الشعبي والسدي . وقيل :ليس فيها أذىً ولا مكروه ، وهو قول سعيد بن جبير [٤].

وكل هذه الأقوال لا تخرج في مجملها عن معنى ذهاب الشيء وهلاكه . قال ابن جرير الطبري في الرجوع بها إلى المعنى اللغوي العام : " ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغَوْل في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل ، فقالوا: غالت فلانا غول ، فالذاهب العقل من

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو في الزاهر لابن الأنباري ٢٢٣/٢ والمخصص لابن سيده ٥/ ١٣٣ .

(٢) الواقعة [١٩] .

(٣) الطور [٢٣] .

(٤) ينظر جامع البيان ٣٧/٢١ والكشف والبيان ١٤٤/٨ والجامع لأحكام القرآن ٧٩/١٥ .

شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله (تعالى ذكره) قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل ، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال (جل ثناؤه) : ﴿ لا فِيها غَوْلٌ ﴾ ، فيعم بنفي كل معاني الغَوْل عنه ، وأعم ذلك أن يقال : لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل ، ولا غير ذلك " [1].

---

(١) جامع البيان ٣٧/٢١ .

المبحث السابع

الدلالة التضمنية

تقدم التعريف بالدلالة اللفظية الوضعية ، وهي : كــون اللفــظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه .

وأود الإشارة – هنا – إلى أن هذه الدلالة تنقسم إلى : دلالــة المطابقة ، ودلالة التضمن ودلالة الالتزام .

لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وقد سبق الحديث عنها في الدلالة الوضعية ، وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام [١].

إذًا فالدلالة التضــمنية هي : دلالة اللفــظ على جزء ما وضع له [٢]، أو كما يعرفها بعض علماء اللغة المحدثين بقولــه : " هــي المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانــب معنــاه التصوري الخالص "[٣]. ويسمى بالمعنى الإضــافي أو العرضــي أو الثانوي ، وهذا النوع من المعنى – وإن كان جــزءًا مــن المعنــى الأصلي أو الأساسي إلا أنه – ليس له صفة الثبوت ، وإنمــا يتغيــر بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة [٤].

---

(١) ينظر التعريفات للشريف الجرجاني ١/١٤٠ .
(٢) ينظر السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني ١/٢٣١ والمعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن حسن جبل ص١٧٣.
(٣) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٣٧
(٤) المرجع السابق نفسه .

ومن أمثلة المعنى التضمني قوله (تعالى) : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [١]، فإن مثل هذا لم يقصد به الأمر ، وإنما هو مبالغة في التهديد أو الخزي ، أي : لم يقصد به المعنى الأصلي ، وهو طلب الفعل ، بل المقصود هو التهديد وهو المعنى التضمني أو الثانوي ، وإن كان المعنى الأصلي هو المقوّي له ؛ لكون المعنى التضمني جزءًا منه [٢].

ومن أمثلة الدلالة التضمنية في غريب القرآن وتفسيره ما يلي:

أ- رفث :

كما في قوله (تعالى): ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [٣]،

قال ابن اليزيدي : " فلا رفث : فلا لغو من الكلام ، واللغو واللغا التكلم بما لا ينبغي ،وقال المفسرون:هو الجماع في هذا الموضع" [٤].

فهو يذكر لكلمة الرفث معنيين ، أحدهما :المعنى اللغوي ، وهو اللغو المراد به في كلام العرب الفحش والمأثم والشتم [٥]، والثاني :المعنى التفسيري لهذه الآية ، ولعله يرى بين المعنيين صلة أو علاقة دلالية ؛ لقوله : وهو الجماع في هذا الموضع " .

---

(١) الدخان [٤٩] .
(٢) ينظر الموافقات للشاطبي ١٥٧/٢ .
(٣) البقرة [١٩٧] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٤ .
(٥) ينظر الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧ .

وما أورده من أن الرفث بمعنى الجماع هو المأثور عن ابن عباس (ﷺ) وقتادة وعكرمة والحسن والضحاك وعطاء بن رباح وغيرهم[١] .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

أصل الرفث في اللغة : الفحش والتكلم بالقبح ، تقول العرب : رَفَث فلان في كلامه ورَفِث يَرْفُثُ ، وأرفث : أفحش وأفصح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح[٢] ، قال العجاج :

ورُبَّ أَسرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ

عن اللَّغَا ورَفَثِ التَكَلُّم [٣].

وعلى هذا المعنى جاء قوله (ﷺ) :(الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ) [٤].

قال يحيى بن شرف النووي : " نهى الصائم عن الرفث وهو السخف وفاحش الكلام "[١] ، ويدل لهذا المعنى السياق اللغوي للحديث الشريف ، وهو ذكر القتال والمشاتمة .

---

(١) ينظر تفسير مجاهد ٩٦/١ ، ١٠٢ وتفسير مقاتل بن سليمان ١٠٤/١ وجامع البيان ١٣١/٤ والجامع لأحكم القرآن للقرطبي٤٠٧/٢ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة وأساس البلاغة [ر ف ث] .

(٣) البيتان من الرجز وهما في ديوانه ص٢٣٨ والصحاح [ر ف ث] ، وكظَّم : ساكتون .

(٤) صحيح البخاري ٦٧٠/٢ وسنن أبي داود ٢٨٠/٢ .

ثم كثر استعمال الرفث فيما يتكلم به عند النساء من معاني الإفضاء ، حتى صار كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله، قولاً كان أو فعلاً ، وأصله الفحش والسَّبّ بالقبيح من القول [٢]، فمن الرفث في القول ما أنشده ابن عباس وهو محرم :

وهُنَّ يَمْشِيْنَ بنا هَمِيْساً

إنْ تَصْدُق الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيْسا [٣].

فقيل له : أترفث وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما روجع به النساء ، يعني ما خوطبن به [٤]، ومن الرفث فعلاً : الغمز باليد أو العين مواعدة للجماع ، وكذلك التقبيل ، وغير ذلك من دواعي الجماع[٥] ، ثم جعل الرفث كناية عن الجماع نفسه ؛ لأن الجماع لا يكاد يخلو من التصريح بما يجب أن يكنى عنه من الألفاظ الفاحشة [٦]، حتى صارت دلالة الرفث على الجماع حقيقة متعارف عليها في بعض المجتمعات العربية ، وهي قبيلة مذحج [٧].

---

(١) شرحه على صحيح مسلم ٢٨/٨ .

(٢) تهذيب اللغة [ر ف ث] وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي ٢٤٤/١.

(٣) البيتان من الرجز ، وهما في جمهرة اللغة ٢٠٣/١ وتهذيب اللغة [ر ف ث] ، وقوله : وهن أي : الإبل ، وهميسًا : أي ليِّنًا ، ولميس : اسم امرأة .

(٤) ينظر جمهرة اللغة٢٠٣/١ وغرائب القرآن للنيسابوري٥١٢/١ .

(٥) ينظر أحكام القرآن للكيا الهراسي٨٧/١وأساس البلاغة [ر ف ث] وروح البيان ٢٤٤/١ .

(٦) ينظر تهذيب اللغة وأساس البلاغة [ر ف ث] وروح البيان ٢٤٤/١ .

(٧) ينظر غريب القرآن المنسوب لابن عباس ٤٠.

وعلى تلك الدلالة العرفية جاء قول الله (تعالى) : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلى نِسَائِكُمْ ﴾ [١]، ولذلك عُدِّي الرفث بـ (إلى) لتضمنه معنى الإفضاء الذي يراد به الملابسة في قوله (تعالى) : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾[٢]. ولو كان المراد من الرفث فحش القول ، لقيل : أحل لكم الرفث بنسائكم أو مع نسائكم[٣] .

فمن هذا العرض يتبين أن [ر ف ث] أصلٌ يدل في اللغة على الفاحش من القول وعلى ما يُريده الرجل من امرأته وعلى الجماع المستفاد من الدلالة العرفية عند العرب .

إذًا فدلالة الرفث على الجماع عند المفسرين في قوله : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ ﴾ دلالة تضمينية ؛ لأنها جزء من مدلول الرفث في اللغة ؛ ولأن مجيء لفظ "الرفث" في سياق النهي يفيد العموم ، قال أبو بكر بن الجصاص : (ت ٣٧٠) هـ : " قد قيل : إن أصل الرفث في اللغة هو الإفحاش في القول ، وبالفرج الجماع ، وباليد الغمز للجماع ، وإذا كان كذلك فقد تضمن نهيه عن الرفث في الحج هذه الوجوه كلها ... ؛ لأن حظر القليل يدل على الكثير من جنسه ، وإباحة الكثير تدل على إباحة القليل من جنسه ... وقد اتفقت الأمة على أن من قبل امرأته في إحرامه بشهوة فعليه دم ، وروي ذلك عن

---

(١) البقرة من الآية [١٨٧] .
(٢) النساء من الآية [٢١] .
(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/٢ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٧٦/٣.

علي وابن عباس وابن عمر والحسن وعطاء وعكرمة ... وهو قول فقهاء الأمصار ..." [١].

ب ـ اليأس :

من الدلالة التضمنية لفظ اليأس ، في قوله (تعالى) : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [٢]، قال أبو عبد الرحمن : " أفلم ييأس : يعلم في التفسير "[٣].

فهو يكتفي بدلالة لفظ " يأس " في التفسير ، ولم يتعرض لدلالته في اللغة ، وتفسير اليأس بمعنى العلم – هنا – هو المروي عن علي وابن عباس وقتادة [٤] ، وتؤيده قراءة (أفلم يتبين الذين آمنوا)[٥].

دلالة اللفظ في اللغة :

اليأس في كلام العرب : القنوط وضد الرجاء ، أو هو قطع الأمل عن الشيء يقولون : قد يَئِس فلان من كذا يَيْأس : إذا انقطع رجاؤه في حصوله ، واستيأس مثله . وأيأسته: قنّطته ، وإنه ليائِسٌ ويَئِسٌ ويؤوسٌ ، والجمع يُئُوس [٦]، قال طرفة :

---

(١) أحكام القرآن له ٣٨٣/١ .
(٢) الرعد من الآية [٣١] .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٩ .
(٤) ينظر جامع البيان ٤٥٠/١٦.
(٥) من القراءات الشواذ ، وهي قراءة علي وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة وعاصم الجحدري وغيرهم ، كما في المحتسب لابن جني ٣٥٧/١ واللباب في علوم الكتاب ٣٠٦/١١ .
(٦) ينظر المحكم والمحيط الأعظم والعباب للصاغاني وتاج العروس [ي أ س] .

وآيَاسَنِي مِن كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ ∴ كَأَنَّا وضَعْنَاهُ إلى رَمْسِ مُلْحَدِ [١]

وقال لبيد :

حتى إذا يَئِسَ الرُّماةُ وأرسَلوا ∴ غُضْفاً دَواجِنَ قافِلاً أعْصَامُها [٢]

هذه هي الدلالة الأصلية الحقيقية للفظ " يأس " في اللغة ، وعليها جاء قوله (تعالى) : ﴿ لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [٣]، أي : يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسر ، قنوط : ظاهر عليه آثار اليأس في منطقه وفي حاله كله [٤].

وقد يتضمن اليأس معنى العلم في بعض الاستعمالات اللغوية ؛ وذلك لما بينهما من تقارب في الدلالة ؛ لأن اليأس مسبب عن العلم ، والميئوس عنه لا يكون إلا معلومًا ، ولأن مع الطمع القلق ومع انقطاعه السكون والطمأنينة كما مع العلم [٥]، قال الزمخشري : " إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه ؛ لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون ،كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ،والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك " [٦].

---

(١) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص ٨ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١١١ ، والرمس : القبر ، وألحدت الرجل : جعلت له لحدًا .

(٢) البيت من الكامل وهو في ديوانه ص١١٢ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص١٩٠، والغضف:الكلاب المسترخية الآذان ، والقفول : اليبس ، وأعصامها : سواجرها وهي الأطواق في رقابها .

(٣) فصلت [٤٩] .

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٥٨٩/٤ .

(٥) ينظر أساس البلاغة [يأس]. والبحر المديد ٤٤١/٣ .

(٦) الكشاف ٤٩٩/٢ .

وقد أصبحت هذه الدلالة معروفة في بعض اللهجات العربية ، كلهجة هوازن ، وحي من النخع يقال له : وهبيل [١]، وعليها جاء قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أقولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونَني ∴ ألم تَيْأسُوا أني ابْنُ فارِسِ زَهْدَم ؟[٢]

أي : ألم تعلموا ، وأنشدوا في ذلك أيضًا :

ألَمْ يَيأسِ الأقْوامُ أنِّي أنَا ابنُهُ ∴ وإن كُنْتُ عن أرْضِ العَشِيرةِ نَائِيا [٣]

دلالة اللفظ في التفسير :

على الدلالة التضمنية في اللغة جاء تفسير اليأس في قوله (تعالى) ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ الآية .

والمعني : أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا أن الهداية بيد الله ومشيئته ، فلو شاء لهدى الناس جميعًا [٤]. قال الراغب الأصفهاني : "ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ؛ فإذًا ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم "[٥].

---

(١) ينظر جامع البيان ٤٥٠/١٦ والمحتسب ٣٥٧/١ وأساس البلاغة [ي أ س] .

(٢) البيت من الطويل،وهو في تهذيب اللغة ومقاييس اللغة[ي أ س]، وزهدم : اسم فرس .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لرباح بن عدي ، في العين [ي أ س] والجامع لأحكام القرآن ٣٢٠/٩ .

(٤) البحر المديد ٤٤١/٣ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٢ .

المبحث الثامن

دلالة الالتزام

وهي القسم الثالث من أقسام الدلالة اللفظية الوضعية ، ويقال لها – أيضًا المعنى اللزومي [١]،

وهي : دلالة اللفظ على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلاً أو عرفًا [٢] ، أو هي : ما دلَّ عليه اللفظ لا بصريح صيغته ووضعه [٣].

ومعنى التعريف : أن يكون اللفظ له معنى وذلك المعنى له لازم من الخارج ، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه ولو قُدِّر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوما [٤] .

ومن أمثلة تلك الدلالة قول القائل : لزمت البيت أو الشجرة ، أي : ظلهما اللازم لهما ، وعشت بالحديقة ، أي : بثمرها اللازم لها كما يدخل فيها استعمال بَرَدَ فلان بمعنى مات – فالبرودة لازمة للموت ، ويدخل فيها كذلك استعمال صرعه بمعنى قتله ، وإنما أصل الصرْع الطرح على الأرض ، كما يدخل في دائرة اللزوم هذه :الكناية

---

(١) المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن جبل ص١٧٤.

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه د/ عبد الجليل منقور ص ٥٩.

(٣) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله د/ عياض بن نامي السلمي ص ٢٥٧ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام ٣٦/١ .

والتعريض والاستعارة بالكناية وغير ذلك مما سماه الشيخ عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى [١]، حيث يقول : " ... وكذلك تعلمُ في قولهِ : بلغني أنك تقدِّم رجلاً وتؤخر أخرى أنه أراد التردُّدَ في أمرِ البيعة ، واختلافِ العزمِ في الفعلِ وتركِه ... وإذ قد عرفتَ هذه الجملةَ فها هنا عبارةٌ مختصرةٌ ، وهي أن تقولَ المعنى ومعنى المعنى ، تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تصِلُ إليه بغيرِ واسِطَة وبمعنى المعنى أن تعقِلَ من اللفظِ معنًى ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ كالذي فسَّرتُ لك " [٢].

ومما جاء من دلالة الالتزام في غريب القرآن وتفسيره ما يأتي:

أ – الخُطْوَة :

كما في قوله (تعالى) : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٣].

قال ابن اليزيدي : " قالوا : خطأه ، وكل معصية فهي من خطوات الشيطان في التفسير " [٤].

فقد بين معنى كلمة " خطوات " في التفسير ، ولم يذكر معناها في اللغة . وإن كان المسوغ لتفسير خطوات الشيطان بالمعصية أو

---

(١) ينظر المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة ص ١٧٤.
(٢) دلائل الإعجاز ٢٠٣/١ .
(٣) البقرة من الآية [١٦٨] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٣ .

الخطأ ، هو أنهما ناتجان من إتباع الشيطان فيما يأمر به أو يدعو إليه .

دلالة اللفظ في اللغة :

الخَطْو : المشي ، يقال : خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوًا ، واختطيت : مشيت . والخُطوة – بضم الخاء – ما بين القدمين، أي : مسافة ما بينهما في المشي ، وجمع القِلة : خُطُوات وخُطَوات وخُطْوات ، والكثير : خُطىً . والخَطْوة – بالفتح – المرَّة الواحدة ، والجمع : خَطَوات – بالتحريك – وخِطاء ، مثل ركوة وركاء [١]، وقيل : فتح الخاء وضمها لغتان ، الفتح لتميم والضم للغة المشتركة[٢] . قال امرؤ القيس في جمع الخطوة على خِطاء :

لَهـا وثَبـاتٌ كَوَثْـبِ الظِّبـاءِ ∴ قَـوادٍ خِطـاءٌ ووادٍ مَطِـرْ [٣]

وقال – أيضًا في المفرد :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَىٰ إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ∴ فَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً وتَبُوصُ [٤]

---

(١) ينظر الصحاح ، والمحكم و المحيط الأعظم ، والمصباح المنير [خ ط و] .

(٢) ينظر المحكم [خ ط و] ولغة تميم د/ ضاحي عبد الباقي ص٢٤٥ .

(٣) البيت من المتقارب ، وهو في ديوانه ص ١٠٨ والصحاح [خ ط و] ، وقوله : وواد مطر : أي تعدو عدوًا يشبه المطر في السرعة والكثرة .

(٤) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص١١٧ وتهذيب اللغة [ن ا ص]، وقوله : نأتك أي : هجرتك ، و تنوص : تذهب بعيدًا ، وتبوص : تتقدم .

وقال حسان في اسم المرة من الخطو :

فتىً ما تخطّى خَطوةً لدنيّةٍ ∴ ولا مدّ في يومٍ إلى سَوءةٍ يداً [١]

وقال جرير في الخطو وهو المصدر :

يُثير الكلابَ آخرَ الّليلِ وَطؤُه ∴ كضَبٍّ العَرادِ خَطوُه متقارِبُ [٢]

هذه هي الدلالة الأصلية للكلمة في اللغة ، وعليها جاء قول النبي (ﷺ) في فضل صلاة الجماعة : (لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) [٣].

ثم إن الكلمة كثر استعمالها في كلام العرب في لازم هذا المعنى أو فيما يسمى بـ " معنى المعنى " ، من ذلك قولهم في الكناية عن الجبن والخِسَّة : فلان لا يتخطى الطُّنُب ، أي : لا يبعد عن البيت للتغوط جبنًا أولؤمًا وقذرًا [٤]. وفي معنى القوة يقولون : ناقتك هذه من المتخطيات الجيف ، أي : ناقة قوية جَلْدة تمضي وتُخَلِّف التي قد سقطت . ويقال في الدعاء : قَرَّب الله عليك الخُطْوة ، فانصرف إلى

---

(١) البت من الطويل ، ولم أجده في ديوانه ، ولعله لشاعر من الأنصار غيره ، وهو في بهجة المجالس لابن عبد البر ص ١٣١و الازدهار فيما عدوه الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي ص ٢ ، والسوءة : العورة .

(٢) من الطويل ، وهو في ديوانه ص٢٥٩/٢ والحيوان للجاحظ ٣٨٨/١، و العراد : نبت يأكله الضب .

(٣) صحيح البخاري ٢٣٢/١ وسنن أبي داود ٢١٩/١ من رواية أبي هريرة .

(٤) المحكم [خ ط و] ، والطنب : حبل يشد به الخباء والسرادق ، وقيل : وتد والجمع أطناب .

أهلك راشدًا ، أي : المسافة . وبين القولين خُطىً يسيرة ، إذا كانا متقاربين [١].

دلالة اللفظ في التفسير :

تعددت الأقوال المأثورة عن الأئمة المفسرين في بيان معنى " خطوات " في هذه الآية الكريمة ، فعن ابن عباس من رواية أبي طلحة : " خطوات الشيطان ":أعماله ،وعنه – أيضًا– من رواية عطاء : زلاته وشهواته [٢].

وعن مجاهد وقتادة والضحاك : خطاياه التي يأمر بها ، قال قتادة : كل معصية لله فهي من خُطُوات الشيطان .

وعن السدي : خطوات الشيطان : طاعته . وعن أبي مجلز : هي النذر في المعاصي [٣].

وهذه الأقوال – على اختلافها – متقاربة في الدلالة ، ويجمعها معنى واحد ، وهو النهي عن إتباع الشيطان في تخطيه من الحلال إلى الحرام [٤]، وهذا مأخوذ من لازم المعنى اللغوي للفظ " خطوة " إذ يقال في اللغة : اتَّبَعَ خطوات فلان ، ووطئ على عقبه ، إذا اقتدى

---

(١) ينظر تهذيب اللغة [خ ط ا] ، وأساس البلاغة [خ ط و] .
(٢) ينظر جامع البيان ٣٠٠/٣ والكشف والبيان ٣٨/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢ .
(٣) ينظر جامع البيان ٣٠٠/٣ وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢٨١/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢.
(٤) ينظر تفسير القرآن للسمعاني ١٥١/٢.

به واستن بسنته . فلا يُراد المعنى الموضوع له اللفظ ، وهو تقفي آثاره حقيقة ، وإنما يراد لازمه وهو الاقتداء به [١].

قال ابن عرفة المالكي: " قوله : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشيطان ﴾ من مجاز التمثيل فإنه ليس المراد النهي عن إتباع خطواته حقيقة إذ لا نراه نحن ، بل الخطوات معنوية "[٢] .

وإن كان ابن اليزيدي قد اقتصر على قول مجاهد والضحاك وقتادة في تفسير الخطوات في هذه الآية بالخطأ والمعصية ، ولعل السبب في اختياره لهذا القول ، هو قربه من الدلالة المعنوية للفظ في اللغة .

ب- السَّحْر :

كما في قوله (تعالى) : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [٣].
قال المفسر : " المسَحَّرين : من له سَحْر ، والسَّحْر : الرئة ، والمعنى أنك مخلوق "[٤] .

فابن اليزيدي يرى أن لفظ المسحر – بزنة مُفَعَّل – مشتق من السَّحْر ، وهو الرئة ، لا من السِّحْر بمعنى الخديعة وإخراج الباطل في صورة الحق [٥]، وإن كان غيره من المفسرين يرى أنه مأخوذ من السِّحْر .

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٣٨/١ .
(٢) تفسير ابن عرفة ٤٩٨/٢ .
(٣) الشعراء [١٥٣] ، [١٨٥] .
(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ١٣٤.
(٥) ينظر مقاييس اللغة [س ح ر] .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

السَّحْر: الرِّئة وما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن ، والجمع : أسحار ، وكذلك السُّحْر والجمع سُحُور ، وقد يحرك فيقال : سَحَر مثل : نهْر ونَهَر لمكان حرف الحلق [وهو الحاء] (١)، قال لبيد بن ربيعة :

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا ∴ عصافيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ(٢)

المُسَحَّر الذي جُعِلَ له سَحْر، ومن كان ذا سَحْر لم يجد بُدًّا من مَطعَم ومشرب (٣). لذا استعمل السَّحْر في الغذاء ، يقال : سَحَره يَسْحَره سَحْراً وسَحَّره : غَذَّاه (٤)، قال امرؤ القيس :

أرانا مُوضِعينَ لأمرِ غَيبٍ ∴ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ (٥)

ومن استعمال السَّحْر في لازم معناه قول العرب : انتفخ سَحْر فلان : إذا جَبُن وملأ الخوف جوفه (٦)، من ذلك قول عتبة بن ربيعة يوم بدر لحكيم بن حزام – لما بلغه قول أبي جهل بن هشام : انتفخ

---

(١) ينظر الصحاح [س ح ر] .
(٢) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٤٧ والعين [س ح ر] ، وعصافير ، أي : ضعاف ، ومسحَّر : معلل بالطعام والشراب ..
(٣) مقاييس اللغة [س ح ر] .
(٤) ينظر المخصص لابن سيده ٥٣/١ .
(٥) البيت من الوافر ، وهو في ديوانه ص ٧٩ والصحاح [س ح ر]، وموضعين : سائرين مسرعين ، ولأمر غيب ، أي الموت .
(٦) ينظر تهذيب اللغة [س ح ر] .

واللهِ سحره ونحره – : " سيعلم مُصَفِّر استه من انتفخ سحره اليوم أنا أم هو!" (١).

قال الشّاعِرُ:

بكُل تَمِيٍّ تَخِرُهُ غَرَضُ القَنا ∴ إذا اضطرمَ الأحشاءِ وانتفخ السَّحرُ(٢)

ويقولون للأرنب : المُقَطَّعة الأسحار ، والمُقَطَعة السُّحُور والمقطعة النِياط على التفائل ، أي سَحْرُها يُقَطَّع (٣).

وعلى دلالة الالتزام هذه جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ، أي : المخلوقين ، وهو المروي عن ابن عباس ، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم ، ومعنى الآية : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعللون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربًّا ولا ملَكًا فنطيعك ، ونعلم أنَّك صادق (٤).

وقال قتادة ومجاهد : معناه : إنما أنت من المسحورين المخدوعين (٥)، فيكون اللفظ مشتقًا من السِّحْر الذي هو الباطل والخداع – كما تقدم – وأنه قد جاء على الدلالة اللفظية الوضعية .

---

(١) ينظر الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١٤٣/١ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٩١/٤.

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في ديوانه ص٥٧٥ ، والكمي : الرجل الشجاع ، والقنا: الرماح ، وضطرم:ضد انتفخ.

(٣) ينظر الصحاح وتاج العروس [س ح ر] .

(٤) جامع البيان ٣٨٥/١٩ .

(٥) ينظر المصدر السابق نفسه والكشف والبيان ١٧٦/٧ .

والأول أظهر في المعنى ؛ لمناسبته مقام الحوار بين الرسول ومكذبيه [١].

جـ- الضحى :

وفي بيان قول الله(تعالى) :﴿ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾[٢].

قال عبد الله بن اليزيدي : " الضُّحى : البروز إلى الشمس ، والمعنى لا يصيبك الحَرِّ " [٣].

فقوله : "والمعنى لا يصيبك الحر " ، هو المراد من لازم دلالة اللفظ ؛ لأن دلالته القريبة في اللغة هي : البروز للشمس ، وينشأ منه الحرُّ والعرقُ .

دلالة اللفظ في اللغة :

يدل لفظ الضُّحى على بروز الشيء للشمس وتعرّضه لضوئها ، يقال : ضَحِي الرجل للشمس يَضْحَى ضُحِيًّا ، وضَحَا يضْحُو ضُحُوًّا : إذا برز لها [٤]. قال عمر بن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إذا الشّمْسُ عارَضَتْ ∴ فَيَضْحَى وَأَمّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[٥]

---

(١) في الآية الأولى بين سيدنا صالح وقومه ثمود ، وفي الثانية بين سيدنا شعيب وأصحاب الأيكة .

(٢) طه [١١٤] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٨ .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ومقاييس اللغة [ض ح ى] .

(٥) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٦٤ والمخصص لابن سيده٢/٣٧٢ ، وقوله : عارضت : أي صارت قبالة العين في القبلة ، ويحصر من قولهم حصر الرجل ، إذا آلمه البرد في أطرافه ، أي لنحافة جسمه يسرع إليه البرد والحر .

والضواحي من الشجر : القليلة الورق التي تبرُزُ عيدانها للشمس ، وضواحي الرجل : ما ضحا للشمس منه مثل المنكبين والكفين وما أشبهما ، والمَضْحاة :المكان الذي لا تكاد تغيب الشمس عنه ، تقول عليك بمضحاة الجبل ، والضَّحْيان من كل شيء :البارز للشمس[١]، قال تأبط شرًّا :

وقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بارِزَةٍ ∴ ضَحْيَانَةٍ في شُهورِ الصَّيفِ مِحرَاقِ[٢]

هذه هي الدلالة اللفظية الوضعية للأصل { ضحو } في اللغة ، وعليها جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [٣]، قال مجاهد " وضُحَاهَا ، أي : ضوؤها وإشراقها ، وأضاف الضحى إلى الشمس ؛ لأنه إنما يكون بارتفاع الشمس " [٤]، وقوله : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [٥]، قال قتادة ومقاتل : يعني وقت الضحى ، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس ، واعتدال النهار من الحر والبرد في الشتاء والصيف [٦].

وقد يشتق منه اشتقاقًا لفظيًا أو صرفيًا للدلالة على مطلق الظهور أو البروز، يقال: فعل ذلك ضاحيةً، إذا فعله ظاهراً بيّناً. قال :

---

(١) ينظر جمهرة اللغة ٢/٩٠ وتهذيب اللغة [ض ح ا] .
(٢) البيت من البسيط وهو في ديوانه ص ٤٢، والمفضليات للضبي ص٢٩ ، وقلة الجبل : أعلاه ،.
(٣) الشمس [١] .
(٤) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/٣٥٥ .
(٥) الضحى [١-٢] .
(٦) الكشف والبيان ١٠/٢٢٣ .

عَمِّي الـذي منـعَ الـدِّينارَ ضـاحيةً ∴ دينـارَ نَحَّـةِ كلـبٍ وهـو مشـهودُ [١]

وضَحَا الطريق يَضْحُو ضَـحْواً وضُـحُوّاً : إذا بـدا وظَهَـر ، والضَّحِيَّة معروفة، وهي الأُضْحِيَّة ، إنما سُمِّيت بذلك لأنَّ الذّبيحة في ذلك اليوم لا تكون إلاَّ في وقت إشراق الشَّمس .

ويشتق منه اشتقاقًا دلاليًا لإفادة معنى الوضوح والصفاء فيقال : ليلة ضَحْياء ، وإضْحِانة : مضيئة لا غيم فيها [٢].

دلالة اللفظ في التفسير :

ذكر المفسرون في قوله (تضحى) أقوال لا تخرج عـن لازم معنى البروز للشمس ، فقال ابن عباس : لا تضحي ، أي : لا يصيبك في الجنة عطـش ولا حرّ ولا أذى [٣]. وقال في رواية أخـرى : لا تعرق[٤].

وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتـادة : لا تصـيبك الشـمس وأذاها[٥] .

فالحرّ والأذى والعطش والعرق مما يلازم التعـرض للشـمس وضوئها .

---

(١) البيت من البسيط ، وهو في تهذيب اللغة والمحكـم [ن خ خ] ، والنخة : أن يأخذ المتصدق دينارًا لنفسه بعد فراغه من الصدقة .
(٢) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [ض ح ى] .
(٣) جامع البيان ١٨ /٢٨٧ .
(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ١٤٦/٣ والإتقان في علـوم القـرآن للسيوطي ٣٥٠/١.
(٥) ينظر تفسير القرآن لعبد الرزاق ٣١٣/٤ وجامع البيان ٢٨٧/١٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٩٩/٥ .

المبحث التاسع

الدلالة السياقية

ويقال لها : المعنى السياقي ، وهي: الدلالة التي يعينها السياق اللغوي ، أو البيئة التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة ، وتستمد – أيضًا – من السياق الاجتماعي وسياق الموقف أو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره ، من متكلم ومستمع ، وغير ذلك من الظروف المحيطة ، والمناسبة التي قيل فيها الكلام [١].

فالكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة ، فهي في سياق لغوي وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين ، أو موقف اجتماعي محدد فإنه يمثل سياقها الاجتماعي ، وهذان السياقان كلاهما يسهم في إيضاح دلالة الكلمة أو تحديد الدلالة المعينة للصيغة ، فإذا استطاع لفظ من الألفاظ أن تكون له معانٍ عديدة ، فيجب أن يُعلم أنها معان محتملة وأن أحد هذه المعاني يتحدد ضمن سياق معين [٢].

وقد فطن القدامى إلى فكرة السياق بنوعيه : اللغوي وغير اللغوي . ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي [٣]، يقول عبد القاهر : " واعلمْ أنْ ليسَ النظم إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو وتعملَ على

---

(١) ينظر علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص ٥٦ .
(٢) المرجع السابق نفسه وينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص ٥٩ .
(٣) العربية وعلم اللغة الحديث د/ محمد داود ص ٢٠١ .

قوانينهِ وأُصولِه وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها "[١]

ومن السياق غير اللغوي ما ذكروه عند تعريفهم البلاغة بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته [٢].

ويقول ابن خلدون : " الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها . ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى بساط الحال محتاجاً إلى ما يدل عليه . وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه ، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته "[٣] .

فقد عبر القدامى عن السياق غير اللغوي بلفظ مقتضى الحال ، وبساط الحال – كما في النصين السابقين ، كما عبروا عنه بأسماء أخرى كالمقام والقصة ولموقف وغير ذلك مما لا يسع المقام ذكره هنا [٤].

ومن الألفاظ التي عمل السياق بنوعيه على تحديد معناها في الآية التي جاء فيها – كما في غريب القرآن وتفسيره :

---

(١) دلائل الإعجاز ١/٧٧.
(٢) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص١٣.
(٣) المقدمة ص٣٥٩ .
(٤) ينظر دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي ص ٢٦ وما بعدها .

أ – بوأ :

في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (١)، قال ابن اليزيدي : " باءوا بغضب ، أي : حملوه ، وباءوا بغضب ، أي : رجعوا ، وقال المفسرون : وباءوا بغضب : استحقوا الغضب من الله " (٢).

فهو يفسر الفعل " باء " بثلاث تفسيرات مختلفة ، إلا أنها متقاربة من حيث المفهوم والدلالة ، والتفسيران الأول والثاني هما الأعرف عند أهل اللغة ، وبهما قال الكسائي وأبو عبيدة (٣)، وأما الثالث والذي خصّ به المفسرين فهو تفسير سياقي ، مناسب للفظ في سياق الآية الكريمة .

دلالة اللفظ في اللغة :

أصل البواء في اللغة : مساواة الأجزاء في المكان ، خلاف النبوة التي هي منافاة الأجزاء ، يقال : مكان بواء ، إذا لم يكن نابيًا بنازلة ، وبوَّأت له مكانًا : سوّيته فتبوّأ(٤)، قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

كَم من أخٍ لي صَالِحٍ ∴ بَوَّأتُهُ بِيَدَيَّ لَحدا (٥)

---

(١) البقرة من الآية : [٦١] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٥ .
(٣) ينظر مجاز القرآن ٢٠/١.والكشف والبيان ٢٠٦/١ .
(٤) المفردات للراغب ص ٦٩ .
(٥) البيت من الكامل وهو في ديوان الحماسة٥١/١والعين[هـ ل ع].

أي : سويت له اللحد وأسكنته فيه ، والعرب تقول : تبوّأ فلان منزلاً ، إذا نظر إلى أحسن ما يُرى وأشده استواءً وأمكنه لمبيته فاتخذه ، ويقولون : تبوأ : إذا هيأ وأصلح ،و تبوأ إذا نزل وأقام ، والمعنيان قريبان ، والاسم منه : المباءة وهي المنزل ، يقال هذه مباءة بني فلان ، أي : دارهم ومنزلهم ، حيث يتبوّأون في قُبُل وادٍ أو سند جبل [١]، قال : طرفة :

طيّبو الباءةِ سهلٌ ولهُمْ ∴ سُبُلٌ إنْ شئتَ في وحشٍ وَعِزْ [٢]

وقال إبراهيم بن هَرْمة :

وبُوِّئتْ في صَميمِ مَعْشَرِها ∴ فتمّ في قومِها مُبَوَّؤُها [٣]

والمباءة –أيضًا – منزل الإبل ، حيث تناخ في الموارد ، يقال : أبأنا الإبل نُبيئها إباءة ، إذا أنخنا بعضها إلى إلى بعض ، وأبأت على فلان ماله ، إذا : أرحت عليه إبله أو غنمه[٤]، قال الشاعر :

خليطان بينهما مِئْرَةٌ ∴ يُبيئانِ في مَعْطِنٍ ضَيِّقِ [٥]

هذه هي الدلالة الأصلية لمادة [ب و أ] ، وهي التمكن من الشيء المستوي والنزول فيه ، ثم كثُر استعمالها في اللغة حتى

---

(١) ينظر الجيم ٨٦/١ وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة [ب و أ] .

(٢) البيت من الرمل وهو في ديوانه ص٥٠ وتهذيب اللغة[ب ا ء]، والباءة : فناء الحي ، ووحش وعر : مسلك ضيق موحش .

(٣) البيت من البسيط وهو في العين ومقاييس اللغة والمحكم[ب و أ]، يقول : أنزلتْ من الكرم في صميم النَّسب .

(٤) مقاييس اللغة [ب و أ] .

(٥) البيت من المتقارب ، وهو في العين ومقاييس اللغة [ب و أ] ، والمِئْرَةُ الدَّحْلُ والعَداوَةُ .

جُعلت عبارة عن المنزل مطلقاً[١]، من ذلك قول النبـــي (ﷺ) : (مَـــنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) [٢]، أي : لينـــزل منزلـــه منها ، وقول الله (تعالى) :﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ﴾ [٣].

ثم تفرعت دلالة اللفظ عن طريق الانتقال بالمجاز ، فأصبح من مدلولاته الباء والباءة بمعنى : النكاح كما في قولـــه (ﷺ) : (مَـــنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ)[٤] فهو منتقل من الباءة والمباءة بمعنى المنزل ، ووجه المجاز – هنـــا أن الرجل يتبوأ من أهله ، أي : يستمكن منها كما يتبوأ من داره [٥]، فيكون المجاز بالاستعارة لعلاقة المشابهة ، أو لأن من تزوج امـــرأة بَوَّأها منزلاً ، فيكون المجاز مرسلاً لعلاقة اللزوم [٦]. قال الأصمعي : يقال : فلان حريص على الباءة ،أي : على النكاح وأنشد :

يُعَرِّسُ أَبْكَاراً بِهَا وَعَنَّسَا

أَكْرَمُ عِرْسٍ بَاءَةً إِذْ أَعْرَسَا [٧].

---

(١) ينظر المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٨٩/١ .
(٢) صحيح البخاري ٥٢/١ وسنن الترمذي ٥٢٤/٤ .
(٣) يونس من الآية [٨٧] .
(٤) صحيح البخاري ٦٧٣/٢وصحيح مسلم ١٨/١٠.
(٥) ينظر الصحاح والعباب [ب و أ] .
(٦) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ص٣٨٩ .
(٧) من الرجز يصف فيه الحمار والأتن وهو في تهذيب اللغة وتـــاج العروس [ب و أ] ، ويعرّس : يغشاها ، والعنس : المتوســـطات اللاتي لسن بأبكار .

وتجمع الباءة على الباءات قال الراجز :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ ذُو الثَّبَاتِ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي صَاحِبَ البَاءَاتِ
فَاعْمِدْ إِلَى هَاتِيكُمُ الأَبْيَاتِ [١].

ومن الكناية قولهم : فلان طيب المباءة ، للعفيف الفرج ، جُعل طيب المباءة وهي المنزل كناية عن ذلك ، وفلان رحب المباءة للسخي الواسع المعروف ، وهو من سعة المنزل ، أو من المباءة بمعنى بيت النحل في الجبل ، وهو المراح الذي تبيت فيه [٢]، قال الشاعر :

وَبَوَّأْتَ بَيْتَكَ فِي مَعْلَمٍ ∴ رَحِيبِ المَبَاءَةِ وَالمَسْرَحِ
كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلَابَ القِرَى ∴ وَنَبْحَ الكِلَابِ لَمُسْتَنْبِحِ [٣]

ومن المجاز قولهم : باء فلان بذنبه ، وباء بغضب الله ، كأنه عاد إلى مباءته محتملاً لذنبه ، أو أنه حَلَّ مبوأً ومعه غضب الله ، أو صار المذنب مأوى لذنبه [٤]. وعليه جاء قول الله (تعالى) : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[٥]، أي : تقيم بهذه الحالة ، ومنه يقال :

---

(١) الأبيات من الرجز،وهي في تهذيب اللغة وتاج العروس[ب و أ].
(٢) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ب و أ] .
(٣) البيتان من المتقارب، وهما في الحيوان للجاحظ ٣٨١/١ وتاج العروس [ب و أ] ، والعفاة : طلاب المعروف .
(٤) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] والمغرب في ترتيب المعرب ٨٩/١ .
(٥) المائدة من الآية [٢٩] .

باء فلان ببيئة سوءٍ ، أي : بحالة سوء ، وفلان حسن البيئة على فِعلة[١]، كل هذا مأخوذ من قولك تبوأت منزلاً .قال الشاعر :

ظَلِلتُ بذي الأَرطَى فُوَيقَ مُثَقَّبٍ ∴ بِبِيئَةِ سُوءٍ هَالِكاً أو كَهَالِكِ [٢]

فهذا التعدد الدلالي لمادة [ب و أ] قد جاء نتيجة التطور الدلالي والانتقال بالمجاز . والذي يفرد اللفظ لمعناه المناسب له في الكلام هو مراعاة المقام أو مقتضى الحال ، وهو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالسياق .

دلالة اللفظ في التفسير :

المأثور عن سعيد بن جبير في قوله :(وباءوا بغضب من الله) استوجبوا سخطًا ، وأثر عن الضحاك : أنهم استحقوا غضب الله[٣] – كما قال بن اليزيدي . وهذان التفسيران قد جاء كل منهما مناسبًا للفظ في سياق الآية الكريمة ، وإن كان الأخذ من المعنى اللغوي ، ظاهرًا لكونه من المجاز ، يدل لذلك قول الطاهر بن عاشور : " وباءوا بغضب من الله ، أي : رجعوا وهو مجاز لمعنى صاروا إذ لا رجوع هنَا "[٤] ، يعني لا رجوع حقيقة ، وإلا فالصيرورة من لازم معنى الرجوع .

---

(١) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] والمفردات في غريب القرآن ص٧٠ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص٦٨ والمحكم والمحيط الأعظم [ب و أ] ، وذو الأرطى : موضع ، والمثقب : مفعل من ثقب الشيء: خرقه، وهو اسم موضع أيضًا.

(٣) ينظر جامع البيان ١٣٨/٢ وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ١٥٣/١.

(٤) التحرير والتنوير ٥٦/٤ .

ب – خسأ :

في تفسير قوله(تعالى):﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [١]، قال المفسر: " خاسئين : مبعدين ، تقول : خَسَأْتُهُ عني وخسأت الكلب أي : باعدته ، وقال المفسرون : صاغرين في معنى خاسئين"[٢].

فتفسيره لـ " خسأ " بمعنى بَعُد هو دلالة اللفظ في اللغة ، وتفسيره له بمعنى الصِّغار هو دلالته عند المفسرين عامة ، وإن لم ينسبه إلى القائلين به ،ويبدو أنه التفسير السياقي للفظ في هذه الآية.

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة { خ س أ } في اللغة معنى الإبعاد والطرد ، فالخاسئ من الكلاب والخنازير : المبعد المطرود ، الذي لا يُترك أن يدنو من الناس ، وكذلك الخاسئ من الشياطين . يقال : خَسَأْت الكلبَ أَخْسَؤه خَسْأً فهو خاسئ ، إذا طرته وأبعدته ، وخسأ الكلب نفسه : بعُد ، يتعدى ولا يتعدى ، كانخسأ[٣] قال الشاعر :

*** كالكَلْبِ إنْ قِيلَ له اخْسَإِ انْخَسَأْ [٤]***

---

(١) البقرة من الآية [٦٥] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٤ .
(٣) ينظر جمهرة اللغة ١١٧/٢ والصحاح والمحكم وتاج العروس [خ س أ] .
(٤) من الرجز ، وهو في الصحاح [خ س أ] والمفردات للراغب ص ١٤٨ .

هذه هي الدلالة الأصلية للفظ عند العرب ، ثم كثر استعمالها في كل ما يتضمن معنى الإبعاد لمهانته وقبحه ، قال ابن بطال (ت٤٤٩هـ): " أخسأ زجر للكب وإبعاد له ، هذا أصل هذه الكلمة عند العرب ثم استعملت في كل من قال أو فعل مالا ينبغي له مما زَجَرَه فبَعُد " [١]، من ذلك قولهم : خسأ البصر ، أي : انقبض عن مهانة ، أو كلّ وأعيا[٢] ، وعليه جاء قوله (تعالى): ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[٣] ، وتخاسأ القوم بالحجارة : تراموا بها وكانت بينهم مخاسأة [٤]؛ لما في ذلك من معنى التباعد أو التباغض . والخَسِيءُ بزنة "فعيل" : الرديء من الصوف ، والخاسئ من الرجال الصاغر القميء، يقال : خسأ الرجل خسوءاً وخسأته خَسْأً : صار ذليلاً صاغرًا [٥]، قَالَ (تعالى): ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [٦]،أي تباعدوا تباعد سخط[٧]، ومنه قول الرسول (ﷺ) لابن صياد :(اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ) ،معناه : اسكت صاغرًا مطرودًا [٨].

وكما أصاب معنى اللفظ تطور أو اتساع تبعًا لكثرة لاستعمال اللغوي ، فقد أصاب مبناها – أيضًا – شيء من التطور الصوتي حيث

---

(١) شرحه لصحيح البخاري ٣٣٣/٩ .
(٢) ينظر المحكم [خ س أ] والمفردات ص ١٤٨ .
(٣) الملك من لآية [٤] .
(٤) ينظر الصحاح والعباب للصاغاني [خ س أ] .
(٥) ينظر العباب والجامع لأحكام القرآن ٣٤٤/١ وتاج العروس [خ س أ] .
(٦) المؤمنون [١٠٨] .
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٤٤٣/١ .
(٨) صحيح البخاري ١١١٢/٣ وفتح الباري لابن حجر ٥٦١/١٠ .

أصبحت تنطق " اخس " بحذف الهمزة تخفيفًا، فقد جاء في بعض روايات هذا الحديث : اخس [١]، ولا يزال هذا الاستعمال سائدًا في اللغة حتى وقت الناس هذا ، إذ يقال لمن يُلقى عليه اللوم في شيء ما : اخس ، وتنطق مفخمة بالصاد بدل السين في بعض الأقاليم .

دلالة اللفظ في التفسير :

للمفسرين في لفظ " خاسئين " في هذه الآية عدة تأويلات ، كلها مناسبة لسياق الآية متقاربة في الدلالة متفرعة من معنى الإبعاد في اللغة .

التأويل الأول : خاسئين بمعنى : مطرودين صاغرين ، وهو قول مجاهد وقتادة والربيع [٢].

الثاني : قال أبو روق : الخاسئين : الذين لا يتكلمون خرسًا [٣]، ودليله قوله (تعالى) : ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [٤].

الثالث : خاسئين : مبعدين ، قاله المؤرج [٥].

الرابع : خاسئين ، يعني أذلاء وهو المروي عن ابن عباس [٦].

وهذه الأقوال لا تخرج عن معنى واحد ، وهو تصوير ما كانوا عليه من الذلّة والهوان ، فالتباعد في القول الثالث تباعد معنوي

---

(١) فتح الباري ٥٦١/١٠.
(٢) ينظر جامع البيان ٢/ ١٧٤ والكشف والبيان ٢١٢/١ .
(٣) ينظر الكشف والبيان ٢٩٨/٤ واللباب في علوم الكتاب ١٤٩/٢ .
(٤) المؤمنون [١٠٨] .
(٥) ينظر الكشف والبيان ٢٩٨/٤ .
(٦) ينظر جامع البيان ١٧٤/٢ والنكت والعيون للماوردي ١٣٥/١ .

مجرد ، وهو تباعد سخط ، أي أنهم مبعدون من رحمة الله[١]،كما أن الذليل المهان لا يتكلم عادة .

لذا فسر بعضهم : قوله (تعالى) :﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾ تفسيرًا سياقيًا ملائمًا للمسخ في هذه الآية فقال : مسخ قلوبهم ، يعني بالطبع والختم ، لا أنه مسخ صورهم ، وهو مثل ضربه الله لهم ، كما قال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [٢]، وإن كان الجمهور من المفسرين على التفسير الظاهر ، وهو أنهم مُسخوا حقيقة ، فصاروا قردةً لها أذناب تعاوي بعد ما كانوا رجالاً ونساءً ، أي قال لهم كونوا ، فكانوا على وجه الحقيقة [٣].

جـ (هطع) :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [٤]، قال : " مهطعين : مسرعين ، وقال المفسرون : الإهطاع : أن يديم النظر ولا يطرف "[٥] .

فهو يذكر لقوله (مُهْطِعِينَ) معنيين : أحدهما لغوي ، والثاني مأثور عن المفسرين ويرادفه لفظ التحميج في اللغة[١] .

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤٤٣/١ وبحر العلوم ٨٨/١ .
(٢) الجمعة من الآية [٥] . وهو قول مجاهد في تفسيره ١/ ٧٧.
(٣) ينظر جامع البيان ١٧١/٢- ١٧٢ واللباب في علوم الكتاب ١٤٩/٢ .
(٤)إبراهيم من الآية [٤٣] .
(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ٩١ .
(١) ينظر المحكم [ح م ج] ، والتحميج : فتح العين وتحديد النظر كأنه مبهوت .

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة [هـ ط ع] في اللغة الانقياد نحو جهة ما أو الإسراع إليها، من ذلك المهطع : الساكت المنطلق إلى من هتف به . وهَطَع الإنسان و غيره هطوعًا وأهطع : أسرع مقبلاً ببصره على ما أقبل عليه ، فهو هاطع ومهطع ، وهطع الرجل وأهطع – أيضًا – إذا أقبل مسرعًا خائفًا ، ولا يكون ذلك إلا مع خوف [١]، وهي صفة أو هيئة من صفات الإنسان في عدوه ، يعني : من مرّ على تلك الهيئة سمي مهطِعًا ؛ لذا قال الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في تفصيل ضروب من مشي الإنسان : " الإهطاع : مِشْيَةُ المسرِع الخائِف " [٢]، ومن ذلك قول الشاعر :

إذَا دَعانَا فأهطَعْنَا لِدَعوتِهِ ∴ دَاعٍ سَمِيعٌ فَلَبَّونَا وسَاقُونَا [٣]

ومن السرعة والانقياد قول العرب : أهطع البعير في سيره واستهطع ، إذا أسرع ومد عنقه وصوب رأسه ، وناقة هطعى : سريعة .وجمل مهطع : في عنقه تصويب خِلْقةً [٤]،وهي وإن كانت صفة ملازمة له ،إلا أنها مأخوذة من معنى الإهطاع عند السرعة في السير ، قال الشاعر يصف بعيرًا :

---

(١) ينظر جمهرة اللغة / وتهذيب اللغة والمحكم [هـ ط ع] .
(٢) فقه اللغة ص ٦٨٦.
(٣) البيت من البسيط وهو لعمرو بن حطان في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٤٣/٣ والبحر المحيط لأبي حيان ٤١٨/٥ .
(٤) ينظر العين والصحاح وتاج العروس [هـ ط ع] .

ويُمْطِعُ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ ∴ في رأسِ جِذْعٍ مِنْ آراكٍ مُشَذَّبِ (١)

ومن المعنى نفسه قولهم للرجل إذا قرّ وذلّ : قد أربخ وأهطع ؛ لأن الإقرار إقبال وانقياد إلى الطاعة أو الاستكانة (٢). قال الشاعر:

تَعَبَّدَني نِمْرُ بْنُ سَعْدٍ وقد أرَى ∴ ونِمْرُ بنُ سَعْدٍ لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ (٣)

يقول : كان ذليلاً لي ، فصار فوقي .

كل ذلك من معنى الإسراع والإقبال على الشيء ، لذا قال ابن فارس : " الهاء والطاء والعين: أُصَيلٌ يدلُّ على إقبالٍ على الشّيء وانقياد . يقال : هَطَعَ الرّجلُ على الشَّيء ببصره : أقبَلَ. وأهطعَ البعيرُ : صَوَّبَ عنقَه منقاداً . وأهْطَعَ: أسْرَعَ " (٤) فاللفظ في اللغة إذًا قد تعددت دلالته وكلها تنتمي إلى معنى واحد،هو الإقبال والإسراع.

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التأويل في تفسير وبيان معنى " مُهْطِعِينَ " في هذه الآية ، فقال بعضهم : معناه مسرعين ، وهو المأثور عن قتادة وسعيد بن جبير(٥)، وقال آخرون : معنى ذلك إدامة النظر من غير أن يطرف ، وهو المروي عن ابن عباس والضحاك ومجاهد (٦).

---

(١) البيت من الكامل ، ولم أقف على قائله وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٠/١ والبحر المحيط ٤١٨/٥ ، والمشذب : الجذع الذي قُشر ما عليه من الشوك .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [هـ ط ع] .

(٣) البيت من الطويل ، وهو في العين وتهذيب اللغة [هـ ط ع] .

(٤) مقاييس اللغة [هـ ط ع] .

(٥) ينظر جامع البيان ٢٩/١٧ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ وبحر العلوم ٢٤٧/٢.

(٦) ينظر جامع البيان ٢٩/١٧ ومعاني القرآن للنحاس ٥٣٨/٣ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ .

والأولى أن يراد من الإهطاع الوجهان جميعًا ، يعني الإسراع وإدامة النظر ، لتفرع المعنيين من الدلالة اللغوية ، ولأن كلاً من المعنيين يعبر عن هيئة المسرع الخائف [١]، وهو اللائق بسياق النظم القرآني ، وإعجاز أسلوبه ، ولقوله (تعالى) : ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ ، أي : لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر [٢].

قال الطاهر بن عاشور : " ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها ... وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر " [٣]، وعلى ذلك فمعنى " مُهْطِعِينَ " : مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب ، لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ ، مديمي النظر في إسراعهم وإقبالهم ، لا تطرف أعينهم من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجهم من القلاقل[٤] .

---

(١) ينظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ١٢٢/٣ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٩ .
(٣) التحرير والتنوير ١٣٣/١ .
(٤) ينظر تفسير القرآن للسمعاني١٢٢/٣وتفسير السعدي ص٣٢٧ .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا ، والصلاة والسلام على النبي الخاتم المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

فمن خلال البحث في دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي قد توصلت إلى عدة نتائج من أهمها ما يلي :

١- دلل هذا البحث على أن اللغة العربية قد بلغت ذروة الفصاحة وتنوعت دلالات ألفاظها وطرق التعبير فيها قبل نزول القرآن الكريم ، فجاء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فكانا خير مصور لذلك حيث اختلفت دلالة اللفظ باختلاف وروده في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

٢- إن هذا البحث يكشف عن مظهر من مظاهر فقه الألفاظ في القرآن الكريم ، وأن ما يثيره الممترون أو المتشدقون من قضايا التشكيك في العقيدة الإسلامية من خلال القرآن الكريم ،إنما هو نتيجة لقلة فهمهم لمعاني هذه الألفاظ في مواضعها .

٣- يمثل هذا البحث حلقة من حلقات الربط بين ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ السنة النبوية المطهرة ، فكثير من دلالات الألفاظ فيه جاءت مروية عن رسول الله (ﷺ) ، أو رفعها بعض كبار الصحابة إليه .

٤- تبين من خلال البحث أن دلالة اللفظ في التفسير تعد إفرادًا لما عليه اللفظ من دلالات متنوعة في اللغة ، وأن علاقة التفسير باللغة علاقة الخاص بالعام أو علاقة جزء الشيء بكله .

فهرس أهم المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ، دار الوطن الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة دار الفكر .

- إجابة السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني ، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي وآخر ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ، حققه أ/مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تحقيق د/ سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ، تحقيق أ/ محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ .

- أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق أ/ محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة التجارية مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٣م .

- الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار للسيوطي ، المكتبة الشاملة – قسم الأدب .

- الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها د/ هـادي نهـر – دار الأمل الأردن – الطبعة الثانية ٢٠٠٥م .

- أساس البلاغـة للزمخشـري ، مطبعـة دار الكتـب المصـرية ١٣٤١هـ١٩٢٣م.

- إسفار الفصيح للهروي ، دراسة وتحقيق أ/ أحمد بن سعيد بـن محمد قشاش الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

- الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق الشيخ/عبد السلام محمد هـارون ، مكتبة الخانجي من دون تاريخ .

- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه تأليف د/ عياض بن نامي السلمي – كلية الشريعة بالرياض .

- الاعتصام للشاطبي – المكتبة الشاملة – قسم العقيدة .

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، حققه أ/ سمير جابر ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية .

- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، المكتبة الشـاملة – قسـم متون الحديث .

- الأنساب للسمعاني، علق عليه وقدم له أ/عبد الله عمر البارودي، دار الجنان بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ١٩٨٨م .

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني – دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

- بحر العلوم للسمرقندي ، تحقيق د/ محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت .

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني – دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢م.

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .

- البحر المديد لابن عجيبة الحسني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – الطبعة الثانية / ١٤٢٣ هـ٢٠٠٢ م .

- بغية الوعاة للسيوطي تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد/ محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة الجمالية بمصر ١٣٠٦هـ

- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق د/ أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملاين بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

- تاريخ الإسلام للذهبي ، حققه د/عمر عبد السلام تـــدمري ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .

- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بـــن الحســـن الشـــافعي ، تحقيق أ/ محب الدين العمري ، دار الفكر بيروت ١٩٩٥م .

- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لأبي الحســـن علـــي بـــن سليمان المرداوي الحنبلي(ت ٨٨٥ هـــ)، تحقيق د/عبـــدالرحمن الجبرين، وآخرين- مكتبة الرشد الرياض١٤٢١ هـــ-٢٠٠٠م .

- التحرير والتنوير للطاهر بـــن عاشـــور ، دار ســـحنون للنشـــر والتوزيع تونس ١٩٩٧م .

- التعاريف للمناوي ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ

- تفسير ابن أبي حاتم الرازي تحقيق أ/ أســـعد محمـــد الطيـــب ، المكتبة العصرية صيدا .

- تفسير سفيان الثوري ، دار الكتب العلميـــة بيـــروت ، الطبعـــة الأولى ، ١٤٣هـــ.

- تفسير الفخر الرازي ، دار إحياءالتراث العربي .

- تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني - المكتبة الشـــاملة، قســـم التفاسير .

- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم وآخر، دار الوطن الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م .

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير،حققه أ/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة الثانية١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

- تفسير مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق أ/ عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي- المنشورات العلمية – بيروت .

- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ، تحقيق أ/ أحمد فريد ، دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م

- التعريفات للجرجاني ، تحقيق أ/ إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق د/ رياض زكي قاسم دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢هـ٢٠٠١م .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م .

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، حققه أ / هشام سمير البخاري ، عالم الكتب الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري حققه أ / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، المكتبة الشاملة – كتب الأدب .

- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، دار الفكر – الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

- جمهرة اللغة لابن دريد ، دار صادر بيروت من دون تاريخ وطبعة أخرى .

- الجيم لأبي عمرو الشيباني ، حققه د/ إبراهيم الإبياري وآخرون ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٥هـ١٩٧٥م وأخرى.

- الحيوان للجاحظ ، تحقيق أ/ عبد السلام محمد هارون – دار الجيل بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .

- الخصائص لابن جني ، حققه د/ محمد علي النجار – المكتبة العلمية .

- الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – المكتبة الشاملة ، قسم التفاسير.

- الدر المنثور للسيوطي ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م .

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د/ محمد التنجي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية١٩٩٧م.

- دلالة الألفاظ العربية وتطورها د/ مراد كامل ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣م .

- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي .

- دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها د/ عيد محمد الطيب ، مطبعة الأمانة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

- ديوان الأخطل ، شرحه أ/ مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

- ديوان الأدب للفارابي ، المكتبة الشاملة - قسم اللغة والمعاجم .

- ديوان الإسلام لابن الغزي ، المكتبة الشاملة - قسم التاريخ .

- ديوان الأعشى - دار صادر بيروت ، من دون تاريخ .

- ديوان امرئ القيس ، شرحه أ/ عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- ديوان أوس بن حجر ، دار صادر بيروت .

- ديوان تأبط شرًا ، اعتنى به أ/ عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م .

- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، حققه د/محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر١٩٦٥م .

- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، حققه د/ نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م .

- ديوان الحماسة لأبي تمام ، المكتبة الشـــاملة – قســـم دواويـــن الشعر.

ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة أ/ عبد العزيز الميمنـــي ، در الكتب ١٩٥١م .

- ديوان الخنساء ، المكتبة الثقافية بيروت .

- ديوان ذي الرُّمة ، شرحه أ / أحمد حســـن بســـج – دار الكتـــب العلمية بيروت – الطبعة الأولى١٤١٥هـــ١٩٩٥م وطبعة أخرى.

- ديوان راعي الإبل النميري، المكتبة الشـــاملة – قســـم دواويـــن الشعر.

- ديوان رؤبة بن العجاج صححه وليم بن الورد البروسى – مكتبة المثنى – بغداد .

- ديوان زهير بن أبي سلمى للأعلم الشنتمري ، المطبعة المحمدية المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـــ وأخرى .

- ديوان الشماخ بن طرار (ﷺ) ، شـــرحه أ/ أحمـــد بـــن الأمـــين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ١٣٢٧هـــ

-ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به أ/ عبد الرحمن المصـــطاوي – دار المعرفة بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـــ ٢٠٠٣م .

- ديوان العجاج ، حققه د/ سعدي ضناوي – دار صادر بيـــروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

- ديوان عنترة بن شداد – مطبعة الآداب بيروت ١٨٩٣م .

- ديوان الفرزدق ، شرحه أ/ علي فاعور – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

- ديوان القطامي ، مطبعة لندن ١٩٠٦ م .

- ديوان قيس بن الحطيم – المكتبة الشاملة – قسم دواوين الشعر.

- ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به أ/ حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- ديوان أبي النجم العجلي ، حققه د/ سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

- روح البيان لإسماعيل حقي ، دار إحياء التراث العربي .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي – المكتبة الشاملة قسم التفاسير .

- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري ، تحقق د/ محمود جبر الألفي وزارة الأوقاف الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ، حققه د/حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

- سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي ــ بيروت من دون تاريخ .

- سنن الترمذي ، تحقيق أ/ أحمد محمد شـــاكر وآخـــرين – دار إحياء التراث العربي بيروت .

- السنن الكبرى للبيهقي ، دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الهند – الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

- سنن ابن ماجه ، تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت .

- سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق أ/ شعيب الأرنؤوط – حســين الأســد ، مؤسســة الرســالة بيــروت ، الطبعــة التاســعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- شذرات الذهب لابن العماد ، دار الكتب العلمية .

- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الـدين الاسـتراباذي ، حققـه أ/محمد نور الحسن وآخـرون – دار الكتـب العلميـة بيـروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ، تحقيـق أ/عبدالغني الدقر الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

- شرح صحيح البخاري لابن بطال ، حققه أبو تميم ياسر بن تميم ، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (المتوفى : ٦٥٦هـ) ، حققه أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسـى البابي الحلبي وشركاه .

- شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

- شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى ١٤٢٣- ٢٠٠٢م .

- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، المكتبة الشاملة – قسم الأدب .

- صحيح البخاري ، حققه د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

- صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت من دون تاريخ .

- العباب الزاخر للصاغاني – المكتبة الشاملة – قسم اللغة والمعاجم.

- العربية خصائصها وسماتها د/ عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- العربية وعلم اللغة الحديث د/محمد داود ،دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠١م

- علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقيًا د/ محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

- علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب الطبعة الرابعة ١٩٩٣م .

- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي د/ عبد الجليل منقور ، دار الكتاب الحديث ١٤٣٢- ٢٠١١م .

- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د/ فريد عوض حيدر – مكتبة الآداب القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

- العين للخليل بن أحمد ، تحقيق د/مهدي المخزومي–د/إبراهيم السمرائي ، دار الهلال .

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، مكتبة المتنبي القاهرة .

- غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري تحقيق/ الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

- غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق د/ سليمان إبراهيم محمد العايد ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق د/ محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

- غريب الحديث لابن قتيبة ، تحقيق د/عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

- غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي حققه د/ عبد الرزاق حسين ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ١٩٨٧م .

- الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق أ/على محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت .

- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

- فتح القدير للشوكاني ، المكتبة الشاملة - قسم التفاسير .

- فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي - المكتبة الشاملة ، قسم اللغة والمعاجم .

- في الدلالة اللغوية د/ عبد الفتاح البركاوي الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠م

- الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨م.

- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- الكشاف للزمخشري ، حققه أ/ عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

- كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

- الكشف والبيان للثعلبي ، حققه الشيخ/ أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

- الكليات لأبي البقاء الكفوي ، حققه د/ عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- كنز العمال للمتقي الهندي ، حققه أ/ بكري حياني – صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ١٩٨١م.

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د/ عبد العزيز مطر ،الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

- لسان العرب لابن منظور، حققه أ/عبد الله علي الكبير وآخرون، مطبعة دار المعارف .

- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر الدمشقي ، حققه/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م .

- لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحي عبد الباقي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

- المثل السائر لابن الأثير، تحقيق أ/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٩٥م .

- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، علق عليه د/ محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بمصر ، وأخرى .

- المجتبى من السنن للنسائي ، تحقيق أ/ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م .

- مجمع الأمثال للميداني تحقيق أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي بكر الهيثمي ،دار الفكر بيروت ١٤١٢ هـ .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ، حققه أ/علي النجدي ناصف وآخرون – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٢٠-١٩٩٩م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق أ/ عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده ، حققه د/عبدالمجيد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

- المخصص لابن سيده ، حققه أ/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي ، حققه أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، دار الحرم للتراث القاهرة الطبعة الثالثة .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، تحقيق أ/مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى هـ١٤١١ – ١٩٩٠م .

- مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة – القاهرة

- مسند إسحاق بن راهويه ، تحقيق أ / عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- مسند أبي يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق أ/ حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

- المصباح المنير للفيومي ، المكتبة العلمية بيروت .

- مُصنف ابن أبي شيبة تحقيق أ/ محمد عوامة – طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.

- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق أ/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- معالم التنزيل للبغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه أ/ محمد عبدالله النمر وآخرون دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

- معالم الدلالة اللغوية في القرن الثالث الهجري على مستوى الكلمة المفردة د/ إبراهيم عبد الله الغامدي – جامعة أم القرى مكة المكرمة.

- معاني القرآن للفراء – المكتبة الشاملة قسم التفاسير .

- معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ، حققه أ / محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م وأخرى .

- المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق أ/ طارق بن عوض الله بن محمد وآخر ، دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥هـ .

- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق أ/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م .

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي بيروت .

- معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية د/ حازم علي كمال الدين ، مكتبة الآداب القاهرة .

- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن جبل ، مكتبة الآداب – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

- المغرب في ترتيب المعرب لابن المطرز ، حققه أ/ محمود فاخوري – عبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد حلب الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، حققه أ/ محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .

- مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق الشيخ /عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية .

- الموافقات للشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ، تحقيق أ/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

- مقدمة بن خلدون ، المكتبة الشاملة – قسم التاريخ .

- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، المكتبة الشاملة قسم التاريخ .

- النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي د/ نعمان بوقرة ، من منشورات اتحاد الكتَّاب العرب دمشق – ٢٠٠٤م .

- النكت والعيون للماوردي ، تحقيق أ/السيد بن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية بيروت .

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق أ/طاهر أحمد الزاوي وآخر ، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

- الوافي بالوفيات للصفدي ، الكتبة الشاملة – قسم التاريخ .